مصطلح "القراءة" في أعمال الدكتور عبد الملك مرتاض النقدية

أ. د. عبد الرحمن بوعلي

قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة الشارقة

Email: abouali@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعد مصطلح "القراءة" من المصطلحات الأساسية في النقد الحديث والمعاصر، وقد حظي بعناية فائقة من لدن الباحثين في شتى الحقول المعرفية، وذلك بالنظر إلى أهميته ونجاعته. وبالنسبة لهذا المصطلح فقد تعامل معه النقاد تعاملا خاصا بحيث وضعوه في مكان الصدارة.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذا المصطلح في أعمال باحث نشيط هو عبد الملك مرتاض الذي استطاع من خلال أبحاثه العلمية أن يجعل اسمه واحدا من الأسماء الفاعلة في النقد العربي الحديث. من خلال بحثنا سنتوقف طويلا عند مصطلح "القراءة" كما نظر إليه هذا الباحث وكما استعمله في أبحاثه.

الكلمات المفتاحية: المصطلح . القراءة . النقد العربي الحديث . عبد الملك مرتاض.

مقدمة:

يحظى مصطلح القراءة بعناية بالغة، وذلك بالنظر إلى أهميته. وتمثل المصطلحات الأساس بالنسبة إلى العلوم كلها؛ لذا، عدها العلماء الأوائل "مفاتيح للعلوم". يقول عبد السلام المسدي: «مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى؛ فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يميز كل واحد منه عما سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته، ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال» (المسدي، ١٩٨٤، ص١١).

ويتبوأ المصطلح الأدبي والنقدي منزلة رفيعة في المشهد الثقافي المعاصر... ومن يتأمل جهود النقاد العرب في هذا الصدد، يلمس مدى إسهامهم الواضح في المجال المصطلحي توليدا وتعريبا وتحديدا وتأصيلا، حتى إنه ليبدو: "وكأننا نعيش في عصر ذهبي حقيقي للمصطلح الأدبي، يكاد يغطي على الكثير من المظاهر

المهمة في ثقافتنا العربية الحديثة، وبشكل خاص منذ السبعينات إلى الآن" (ثامر، ٢٠٠٢، ص ٤٣).

إن مكانة المصطلح هذه تستوجب منا ضرورة الاشتغال به، وإيلائه قدرا كبيرا من العناية والاهتمام، لأن البحث فيه ليس ترفا فكريا. وإنما هو بحث يتعلق بالذات؛ تراثها وتاريخها وحضارتها.

++++

عبد الملك مرتاض والمصطلح النقدي:

يعد الدكتور عبد الملك مرتاض أحد الأعلام الذين دعوا إلى خدمة اللغة العربية، وترقية مصطلحاتها (مرتاض، ١٩٧٩، ص ٢٣٥)، فضلا عن مشاركته الفعلية في صياغة العديد من المصطلاحات النقدية، واجتهاده الملموس في التعريف بها وتقريبها إلى أذهان متلقيها. وهو "من أكثر النقاد العرب وعيا بأهمية المصطلح ومكانته داخل الخطاب النقدي، ومن أشدهم حرصا على تجذيره وتأصيله، وضبطه، ومراجعته، سواء من حيث الحد، أو من حيث المفهوم، قبل الخوض في الممارسة والتطبيق" (عقاق، ٢٠٠٤، ص ٢٧٥).

ونظرا إلى هذه المكانة التي يتبوأها د. عبد الملك مرتاض، فقد ارتأينا أن نخصه ببحث نكشف فيه عن واقع المصطلح في أعماله، وذلك برؤية منهجية علمية واضحة، وقد رأينا الاقتصار على الوقوف عند مصطلح "القراءة" كونه مفهوما نقديا إجرائيا محوريا، وكثير الحضور بلفظه ومعناه في آثار الدكتور عبد الملك مرتاض.

ولا ريب في أن من يقرأ هذا البحث سيفهم منه أنه سيقارب كل المتن النقدي للدكتور مرتاض. والواقع، أننا لم ندخر جهدا في سبيل جمع كتابات مرتاض النقدية وحصرها جميعها، بيد أننا لم نتمكن من دراسة سوى عشرة كتب، وثلاثين مقالا. فأما الكتب فهي الآتية: فن المقامات في الأدب العربي (١٩٨٠) – الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق (١٩٨٢) – النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟ (١٩٨٣) – بنية الخطاب الشعري (١٩٨٦) – "أ–ي" (١٩٩٢) – شعرية القصيدة (١٩٩٤) – تحليل الخطاب السردي (١٩٩٥) – في نظرية الرواية (١٩٩٨) – الأدب الجزائري القديم (٢٠٠٠) – التحليل السيميائي للخطاب الشعري (٢٠٠١). وأما المقالات فهي: مناهج البحث في الحكاية الخرافية (١٩٧٧) –الألغاز الشعبية الجزائرية (١٩٧٩) – معالم الأدب العربي الحديث في الجزائر (١٩٧٩) –الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث (١٩٨١) – الزمان في الأمثال الشعبية الجزائرية

(١٩٨٢) – سلوك الشخصيات في "اللاز" (١٩٨٤) –حوار مع د. عبد الملك مرتاض – نظرية، نص، أدب: ثلاثة مفاهيم نقدية (١٩٩٠) – فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص (١٩٩١) – الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس (١٩٩٢) – التحليل السيميائي للخطاب الشعري (١٩٩٢) – العجائبية في رواية "ليلة القدر" (١٩٩٤) – إشكالية التأويل في القرآن (١٩٩٤) – المشكلة المنهجية في الأدب الإسلامي (١٩٩٤) – هل الحداثة فتنة؟! (١٩٩٤) – القراءة، وقراءة القراءة (١٩٩٥) – تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي (١٩٩٥) –بين السمة والسيمائية (١٩٩٦) – ممارسة العشق بالقراءة (١٩٩٦) – الصورة الأدبية: الماهية والوظيفة (١٩٩٦) – اللغة العربية من خلال نظرة عصرية (١٩٩٧) – قراءة نقدية في كتاب "اللغة العربية.. إضاءات عصرية" للدكتور حسام الخطيب (١٩٩٧) – مدخل في قراءة البِنَوية (١٩٩٨) – نظرية التقويض (١٩٩٩) – التأويلية بين المقدس والمدنس (٢٠٠٠) – الدكتور عبد الله الغذامي كما عرفته (٢٠٠٢) – الثقافة العربية من أين وإلى أين؟ (٢٠٠٢) – الأدب... والعلوم الإنسانية (٢٠٠٣) – صورة المقاومة في شعر الأمير عبد القادر (٢٠٠٣) – "علامات": الظاهرة.. الموقف (٢٠٠٣)... فهذه الكتب والمقالات هي التي ستشكل متن هذا البحث.

++++

المبحث الأول: في تعريف "القراءة:

١– تعريف "القراءة" في اللغة والاصطلاح:

يعد لفظ "القراءة" أحد المصادر الثلاثة للجذر اللغوي الثلاثي (ق ر أ). ويقصد به، في معاجم اللغة العربية؛ قديمها وحديثها:"الجمع والضم".

ونقترح لبيان ذلك المفهوم والتدليل عليه الاستعانة بما قاله ابن منظور المصري (ت٧١١هـ) في هذا الشأن وذلك لعدة أسباب أهمها سببان اثنان: أولهما يتجلى في كون الرجل من المعجميين المتأخرين نسبيا، وأما ثانيهما: فيكمن في أن تعريفه يشمل كثيرا مما ضمته تعاريف المعاجم السابقة. منها معجم لسان العرب: «قرأه يقرَؤه ويقرُؤه، فهو مقروء... **وقرأت الشيء** قرآنا: **جمعته وضممت بعضه إلى بعض.** ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا قط؛ أي لم **يضطم** رحمها على ولد. وأنشد: (الوافر التام) هجان اللون لم تقرأ جنينا (الزوزني، ١٩٦٩، ص ١٦٩) .

وقال: قال أكثر الناس: معناه لم **تجمع** جنينا؛ أي لم **يضطم** رحمها على الجنين... وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن... وقال ابن الأثير: "تكرر

في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، **والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته** فقد قرأته...» (ابن منظور، مادة قرأ).

وإذا انتقلنا من المجال اللغوي العام إلى المجال الاصطلاحي الأدبي، فسنجد أن مصطلح "القراءة" دال على جملة معان اصطلاحية؛ أهمها:

* التلاوة (الأصفهاني، مادة قرأ).

* ضم العناصر اللغوية بعضها إلى بعض في الترتيل (الأصفهاني، مادة قرأ). وهذا المعنى يحيلنا إلى مفهوم القراءة لدى علماء القراءات غربال، مادة قرأ).

* تتبع كلمات النص المكتوب نظرا؛ سواء وقع النطق بها (قراءة جهورية)، أم لم يقع (قراءة صامتة) (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة قرأ).

* «تحريك النظر على رموز الكتابة منطوقة بصوت عال أو من غير صوت، مع إدراك العقل للمعاني التي ترمز إليها في الحالتين» (وهبه، ١٩٧٤، مادة القراءة).

* تفكيك شفرة (Code) الخبر المكتوب (علوش، ١٩٨٥، مادة القراءة).

* تأويل نص أدبي ما (علوش، ١٩٨٥، مادة القراءة).

ويطلق اصطلاح (القراءة) في المعاجم الأجنبية على مجموعة من المعاني، لعل أبرزها ما يأتي:

* فعل القراءة (Marie GATARD, 1989, Article (Lecture)).

* نطق المكتوب بصوت مسموع (P. ROBERT, 1986 Article Lecture).

ولم يطَّرد استعمال "القراءة" بهذا المعنى إلا منذ ١٤٤٥م (A.Rey, Paris, 1998, p,1997).

* حدث تعلم القراءة، أو فن القراءة (P. ROBERT, 1986 Lecture).

* الأثر (أو النص) المقروء (A. J.Greimas et J. Courtés, 1979, Lecture).

* صيرورة كشف الحروف ودلالتها(A. J.Greimas et J. Courtés, 1979, Lecture).

* حدث فك رموز (Déchiffrage) ما هو مكتوب P. ROBERT, 1986 Lecture).

* فهم محتوى النص المقروء (Galisson et D. Coste, 1976).

* الطريق المسلوكة لفهم الشيء (Oxford University Press, 1991).

* طريقة فهم، وتفسير عمل أدبي أو كاتب...

و"القراءة" بهذا المعنى، وبالمعنى السابق أيضا، تحيلنا على مفهوم المنهج.

* «إعمال مجموعة من إجراءات التحليل في دراسة نص معطى. وتطرح هذه القراءة نفسها باعتبارها إنتاجا مقابلا للوصف أو للشرح التقليدي للنص الأدبي. إنها قراءة لاشتغال النص؛ أي للعمليات التي تؤسسه بوصفه نصا من النصوص، أو هي قراءة لإنتاجيته. وتمتاز بكونها غير منتهية ما دامت تظل منفتحة أبدا على قراءات أخريات، معتمدة تقنيات أخرى في التحليل، ومعترفة بأنها "ممارسة"» (Galisson et Coste, 1976, p.14). وينصرف هذا المعنى، أساسا، إلى مفهوم القراءة في الحقل السيميائي الأدبي.

انطلاقا من الدراسة المعجمية المتقدمة، يمكن أن نسجل الملاحظات الخمس الآتية:

١- إن بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة "قراءة" ارتباطا أكيدا، وهو أحيانا يكون جليا، وأحيانا خفيا؛ يحتاج منا إلى تدبر واجتهاد لكشفه.

٢- إن ما تقدمه المعاجم الاصطلاحية، بشأن مادة "قراءة"، أهم وأجود مما تقدمه معاجم اللغة. وإن ما تقدمه المعاجم الاصطلاحية الأجنبية أغزر وأعمق مما تقدمه معاجمنا الاصطلاحية. ولا نرتاب في أن معظم ما تورده المعاجم الاصطلاحية العربية، في هذا الشأن، مقتبس من صنواتها الغربية.

٣- لمصطلح "قراءة" معان كثيرة؛ إذ إنه حين يطلق، يشير إلى مساحة واسعة من الدلالات المتعالقة والمتوالجة.

٤- عرف مفهوم القراءة تحولا واضحا، وانتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى المعقد النقدي. وفي هذا الصدد، يقول محمد عدنان سالم: «لقد تطور مفهوم "(القراءة) من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على التعرف على الحروف والكلمات، والنطق بها صحيحة؛ وهذا هو الجانب الآلي من القراءة، إلى العملية العقلية المعقدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط، ثم التحليل والمناقشة؛ وهي (القراءة الناقدة) التي تحتاج إلى إمعان النظر في المقروء، ومزيد من الأناة والدقة» (سالم، ١٩٩٩، ص ٣٤).

٥- نلمس في كثير من التحديدات السابقة ارتباط القراءة بما هو مكتوب. وهذا ما قرره عبد الملك مرتاض أيضا، حين أثبت أن فعل القراءة: "يتمحض، حتما، لنص مرقوم" (مرتاض،١٩٩٥، ص ٢٠٩). وهو ما قد يحيلنا إلى مقولة الكاتب ألبرتو مانجيل: «القراءة تبتدئ بالعيون» (MANGUEL, 1998, P44).

٢- تعريف "القراءة" في أعمال د عبد الملك مرتاض من خلال المتن المدروس:

قبل تحديد مفهوم القراءة في المدونة، لا بأس من التنبيه إلى جملة أمور مهمة وهي:

١- لقد بلغ مجموع مرات ورود مصطلح "القراءة"، بمختلف صيغه الاشتقاقية، في متن الدكتور مرتاض المدروس ما يقارب خمسا وتسعين ومائتين وألفين مرة (٢٢٩٥).

٢- استعمل مرتاض مصطلح "القراءة"، مصدرا واسما، اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٢) مرة؛ أي بنسبة ٥٧,٦٠% من مجموع مرات ورود مصطلح "القراءة" بنصوص المدونة. وهذا يدل على أهمية المصطلح ومركزيته معا في كتابات مرتاض النقدية.

والملاحظ، أيضا، أن تواتر هذا المصطلح يتوزع، بشكل غير متوازن، بين كتب المدونة ومقالاتها:

١,٢- فبالنسبة إلى الكتب، فقد وجدنا أن بعضها يتردد فيها المصطلح بوفرة، وبعضها يقل فيها حضوره، وبعضها يشمل كمية متوسطة من هذا المصطلح. ويأتي كتاب "شعرية القصيدة" في طليعة هذه الكتب، متبوعا بكتاب "التحليل السيميائي للخطاب الشعري". بحيث ورد المصطلح في الأول ستا وخمسين ومائتي (٢٥٦) مرة، وفي الثاني ستا وستين ومائة (١٦٦) مرة... وقل ورود المصطلح في كتاب "أ- ي" (سبع مرات)، وفي كتاب "النص الأدبي" (تسع مرات)، وفي كتب أخرى غيرهما. ومن الكتب التي ورد فيها المصطلح ورودا يتباين بين الوفرة والقلة كتاب "في نظرية الرواية" (ست وستون مرة)، وكتاب "الأدب الجزائري القديم" (ستون مرة). ويوضح الجدول الآتي عدد مرات استعمال مرتاض مصطلح "القراءة" في كتبه المدونة، ونسبتها المئوية بالنظر إلى مجموع مصطلح "القراءة" في المدونة كلها:

عنوان الكتاب	رتبته	مرات ورود المصطلح	نسبة الورود
شعرية القصيدة	١	٢٥٦	%١٩,٣٦
التحليل السيميائي للخطاب	٢	١٦٦	%١٢,٥٦
في نظرية الرواية	٣	٦٦	%٤,٩٩
الأدب الجزائري القديم	٤	٦٠	%٤,٥٤
تحليل الخطاب السردي	٥	٥١	%٣,٨٦
فن المقامات في الأدب العربي	٦	٢٦	%١,٩٧
بنية الخطاب الشعري	٧	١٢	%٠,٩١
الجدل الثقافي بين المغرب	٨	١١	%٠,٨٣

النص الأدبي: من أين؟ وإلى	٩	٩	%٠,٦٨
أ – ي	١٠	٧	%٠,٥٣
المجموع		**٦٦٤**	**%٥٠,٢٣**

٢,٢ – وبالنسبة إلى المقالات، فقد بلغ مجموع مرات ورود المصطلح فيها ثمانا وخمسين وستمائة (٦٥٨)؛ أي بنسبة ٤٩,٧٧%. ويمكننا أن نقسم هذه المقالات أقساما ثلاثة، من حيث كمية ورود المصطلح فيها. وفيما يأتي بيانُ ذلك:

*** مقالات يكثر فيها المصطلح:** وعددها أربع. وقد ضمت، وحدها، ثمانين وأربعمائة (٤٨٠) مصطلح. وتعد مقالة "القراءة، وقراءة القراءة" أولى مقالات المدونة، وثاني نصوصها عامة فيما يخص حجم استعمال مصطلح "القراءة"؛ إذ احتوت خمسة ومائتي (٢٠٥) مصطلح (١٥,٥١%). ويبرز الجدول الآتي– بجلاء – مدى حضور المصطلح في المقالات الأربع المشار إليها:

عنوان المقالة	رتبتها	مرات ورود المصطلح فيها	نسبة الورود
القراءة، وقراءة القراءة	١	٢٠٥	%١٥,٥١
تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي	٢	١٣٩	%١٠,٥١
ممارسة العشق بالقراءة	٣	٨٢	%٦,٢٠
التحليل السيميائي للخطاب الشعري	٤	٥٤	%٤,٠٨
المجموع		**٤٨٠**	**%٣٦,٣٠**

*** مقالات يحضر فيها المصطلح حضورا متوسطا:** إن بعض مقالات المدونة، وعددها ست، استعملت مصطلح "القراءة" استعمالا يتباين بين الوفرة وبين القلة والنَدْرة والجدول أسفله يبين ذلك:

عنوان المقالة	ر	مرات ورود	نسبة
التأويلية بين المقدس والمدنس	٥	٣٧	%٢,٨٠
صورة المقاومة في شعر	٦	٢٦	%١,٩٧
مدخل في قراءة البنوية	٧	٢٣	%١,٧٤
إشكالية التأويل في القرآن	٨	١٨	%١,٣٦
نظرية، نص، أدب	٩	١٧	%١,٢٨
نظرية التقويض	١	١٣	%٠,٩٨
المجموع		**١٣٤**	**%١٠,١٣**

*** مقـالات يقـل (أو ينـدر) فيهـا المصـطلح:** وعـددها ثـلاث عشـرة. ولا تتجـاوز مـرات ورود المصطلح فيها الخمسين. والجدول الموالي يوضح ذلك بتفصيل:

عنوان المقالة	رتبتها	مرات ورود المصطلح	نسبة الورود
"علامات": الظاهرة.. الموقف	١١	٩	%٠,٦٨
فكرة السرقات الأدبية...	١٢	٦	%٠,٤٥
هل الحداثة فتنة؟ ! (حلقتان)	١٢	٦	%٠,٤٥
اللغة العربية من خلال نظرة عصرية	١٤	٥	%٠,٣٨
الغذامي كما عرفته	١٤	٥	%٠,٣٨
الصورة الأدبية...	١٦	٣	%٠,٢٣
قراءة نقدية في كتاب "اللغة	١٦	٣	%٠,٢٣
معالم الأدب العربي الحديث في	١٨	٢	%٠,١٥
المشكلة المنهجية في الأدب	١٩	١	%٠,٠٨
بين السمة والسيمائية	١٩	١	%٠,٠٨
الأدب... والعلوم الإنسانية	١٩	١	%٠,٠٨
حوار مع د. عبد الملك مرتاض	١٩	١	%٠,٠٨
سلوك الشخصيات في "اللاز"	١٩	١	%٠,٠٨
المجموع		**٤٤**	**%٣,٣٥**

نلاحـظ مـن خـلال تفحـص الجـداول المتقدمـة جميعهـا أن مصـطلح "القـراءة" يكثـر فـي نصـوص دون أخـرى، ولاسـيما فـي تلـك التـي تـتمحض للقـراءة تنظيـرا. كمـا يـرد، بنسـب مهمـة، فـي بعـض كتابـات مرتـاض النقديـة، التـي تعـالج نصوصـا شـعرية حديثـة ومعاصـرة بالمنـاهج الحداثيـة. ولاشـك فـي أن طبيعـة هـذه النصـوص والكتابـات تعـين علـى ذلـك. وهنـاك كتابـات أخـرى، تمتـاز بقلـة حضـور المصـطلح فيهـا أو ندرتـه؛ ولا سـيما تلـك المتسـمة بقصـرها، وعموميـة موضـوعاتها، وجنوحهـا إلـى التـأريخ والجـدال والتعريف بأمور محددة.

٣- اسـتُعمل مصـطلح "القـراءة" فـي المدونـة بصـور متعـددة ومختلفـة. فقـد ورد معرفـة ونكـرة، ومفـردا ومثنـى وجمعـا، وفـي سـياق التركيـب وغيـره. وسيوضـح الجـدولان الآتيـان أحـوال المصـطلح، فـي كتـب المدونـة ومقالاتهـا، مـن حيـث التعريـف والتنكيـر، والإفـراد والتثنية والجمع. وسنرجئ معالجة المصطلح في السياق التركيبي إلى وقت لاحق:

١,٣- فـــي الكتـــب: ورد المصـطلح معرفـا سـتا وعشـرين وخمسـمائة (٥٢٦) مـرة؛ أي بنسـبة ٣٩,٧٩% مـن مجمـوع المصـطلح فـي المدونـة كاملـة. وقـد عُـرِّف بـالألف والـلام

فـي ثلاثـة وخمسـين وثلاثمائـة (٣٥٣) موضـع، وبالإضـافة فـي ثلاثـة وسـبعين ومائـة (١٧٣) موضـع. وورد منكَّـرا ثمانـا وثلاثـين ومائـة (١٣٨) مـرة؛ أي بنسـبة ١٠,٤٤%. وقـد اسـتعمل مرتـاض النكـرة محضـا (غيـر موصـوفة) خمسـين مـرة، وغيـر محـض (موصـوفة) ثمانـا وثمـانين (٨٨) مـرة. واسـتعملت الكتـب المعنيـة بالدراسـة مصـطلح "القـراءة" مفـردا ثلاثـا وثمـانين وخمسـمائة (٥٨٣) مـرة؛ أي بنسـبة ٤٤,١٠%، ومثنـى سـبع مـرات فقـط؛ أي بنسـبة ٠,٥٣%، ومجموعـا أربعـا وسـبعين (٧٤) مـرة؛ أي بنسـبة ٥,٦٠%. والجـدول الآتـي يبـين، بتفصـيل وبتـدقيق أيضـا، أحـوال هـذا المصـطلح فـي كل كتاب من كتب المدونة العشرة:

عنوان الكتاب	أحوال مصطلح "القراءة"						
	من حيث التعريف والتنكير				من حيث الإفراد والتثنية والجمع		
	معرفة		نكرة		مفرد	مثنى	جمع
	بالألف واللام	بالإضافة	محض	غير محض			
شعرية القصيدة	١٣٨	٥١	٢٨	٣٩	٢٣٧	٦	١٣
التحليل السيمائي للخطاب الشعري	٩٤	٣٣	١٠	٢٩	١٥٨	١	٧
في نظرية الرواية	٣٠	٣٤	٢	٠	٦٠	٠	٦
الأدب الجزائري القديم	٣٠	١٠	٦	١٤	٥٥	٠	٥
تحليل الخطاب السردي	٣٩	١٠	٠	٢	١٢	٠	٣٩
فن المقامات في الأدب العربي	١٠	١٥	٠	١	٢٥	٠	١
بنية الخطاب الشعري	٣	٦	١	٢	١٠	٠	٢
الجدل الثقافي...	٣	٧	١	٠	١١	٠	٠
النص الأدبي	٣	٤	١	١	٩	٠	٠
أ – ي	٣	٣	١	٠	٦	٠	١
المجموع	**٣٥٣**	**١٧٣**	**٥٠**	**٨٨**	**٥٨٣**	**٧**	**٧٤**
النسبة المئوية العامة	%٢٦,٧٠	%١٣,٠٩	%٣,٧٨	%٦,٦٦	%٤٤,١٠	%٠,٥٣	%٥,٦٠

٢,٣- فـــي المقـــالات: اســتعمل مرتــاض مصــطلح "القــراءة" معرفــا ثلاثــا وســبعين وخمسـمائة (٥٧٣) مـرة؛ أي بمـا نسـبته ٤٣,٣٤%. وقـد عـرف أحيانـا عـن طريـق قرنـه بـالألف والـلام (٣٥٠ مـرة)، وأحيانـا أخـرى بإضـافته إلـى غيـره مـن الألفـاظ (٢٢٣ مـرة). واسـتعمل الناقـد المصـطلح نكـرة خمسـا وثمـانين (٨٥) مـرة؛ وهـو تـارة يقيـدها بوصـف أو أكثـر (٦٢ مـرة)، وتـارات يوردهـا محضـا غفـلا مـن القيـود الوصـفية. وبعـد أن اسـتقرينا المصـطلح اسـتقراء تامـا فـي مقـالات المدونـة، توضـح لنـا أنـه ورد فـي حـال الإفـراد ثمانـا وسـتمائة (٦٠٨) مـرة، وفـي حـال التثنيـة خمـس مـرات، وفـي حـال الجمـع خمسا وأربعين (٤٥) مرة. والجدول الموالي يبين كل ذلك بتفصيل:

عنوان المقالة	أحوال مصطلح "القراءة"					
	من حيث التعريف والتنكير				من حيث الإفراد والتثنية والجمع	
	معرفة		نكرة			
	بالألف واللام	بالإضافة	محض	غير محض	مفرد	مثنى	جمع
القراءة، وقراءة القراءة	١٤٥	٤٢	٧	١١	١٩٦	٠	٩
تقاليد القراءة...	٦٥	٦٧	٢	٥	١٢٦	١	١٢
ممارسة العشق بالقراءة	٤٨	١٩	٤	١١	٧٣	١	٨
التحليل السيميائي للخطاب الشعري	٢٦	١٢	٤	١٢	٤٥	١	٨
التأويلية بين المقدس والمدنس	١٠	١٨	١	٨	٣٦	٠	١
صورة المقاومة...	٩	١٢	١	٤	٢٥	١	٠
مدخل في قراءة البنوية	٩	١٢	٠	٢	٢٢	٠	١
إشكالية التأويل في القرآن	٩	٦	١	٢	١٧	٠	١
نظرية، نص، أدب	١١	٢	٠	٤	١٦	١	٠
نظرية التقويض	٥	٨	٠	٠	١٢	٠	١
"علامات": الظاهرة.. الموقف	٤	٥	٠	٠	٦	٠	٣
فكرة السرقات الأدبية...	٣	٣	٠	٠	٥	٠	١
هل الحداثة فتنة؟ !	١	٤	١	٠	٦	٠	٠
الغذامي كما عرفته	٠	٥	٠	٠	٥	٠	٠

اللغة العربية من خلال نظرة عصرية	٢	٢	٠	١	٥	٠	٠
الصورة الأدبية	١	١	١	٠	٣	٠	٠
قراءة نقدية في كتاب "اللغة العربية..."	١	١	٠	١	٣	٠	٠
معالم الأدب العربي الحديث في الجزائر	٠	٢	٠	٠	٢	٠	٠
سلوك الشخصيات في "اللاز"	٠	١	٠	٠	١	٠	٠
حوار مع د. عبد الملك مرتاض	٠	٠	١	٠	١	٠	٠
الأدب... والعلوم الإنسانية	٠	١	٠	٠	١	٠	٠
بين السمة والسيمائية	١	٠	٠	٠	١	٠	٠
المشكلة المنهجية...	٠	٠	٠	١	١	٠	٠
المجموع	**٣٥٠**	**٢٢٣**	**٢٣**	**٦٢**	**٦٠٨**	**٥**	**٤٥**
النسبة المئوية العامة	٢٦,٤٧ %	١٦,٨٧ %	١,٧٤ %	٤,٦٩%	٤٥,٩٩ %	٠,٣٨ %	٣,٤٠%

نستخلص من الجدولين السابقين أن الدكتور مرتاض استعمل مصطلح "القراءة"، في أغلب الأحيان، معرفا (٨٣,١٣%) ومفردا (٩٠,٠٩%). وفي هذا الاستعمال دلالة على أن الناقد كان يعالج نصوصا أدبية محددة، ويتناول أمورا بعينها.

٤- استعمل مرتاض في نصوص المدونة مجموعة من الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذر القراءة المفهومي؛ من مثل: النقد (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٧)، والتحليل (مرتاض، ١٩٨٢، ص ٦٢)، والتأويل (مرتاض، ١٩٩٤، ص٧٨)، والمدارسة (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٦٧)، والدراسة (مرتاض، ١٩٩٤، ص ١٢٧)، والمعالجة (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١١)، والمقاربة (مرتاض، ٢٠٠٠، ص ١٥)، والمعاملة (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٢٢٩)، والتعامل (مرتاض، ٢٠٠٠ ص ٢٦٦)، والتناول (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٠)، والابتداع (مرتاض، ١٩٩٤، ص ١٩)، والكتابة (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٨)، والتلقي (مرتاض،١٩٩٨ ص ٢١٣)، والفهم (مرتاض،١٩٩٢، ص ١٤٤)، والشرح (مرتاض،١٩٩٢، ص ١٦)، والتفسير(مرتاض، ١٩٧٧، ص ١٣)، والتفكيك (مرتاض، ١٩٩٢، ص ٨٢)، والتشريح (مرتاض، ١٩٩٤، ص ١٦)، والتخريج (مرتاض، ٢٠٠٣، ص ١٣)،... إلخ.

٥- استعمل مرتاض المصطلح بصيغة الفعل (المبني للمعلوم والمبني للمجهول، والماضي والمضارع) اثنتي عشرة وأربعمائة (٤١٢) مرة؛ أي بنسبة ١٧,٩٥% من مجموع مرات ورود مصطلح "القراءة" بمختلف صيغه المشتقة من جذره اللغوي. وقد ورد أزيد من ثلثي هذه المصطلحات الفعلية في كتب المدونة، بحيث بلغت مرات ورودها فيها ما يقارب إحدى وتسعين ومائتين (٢٩١)؛ أي بنسبة مئوية قدرها ٧٠,٦٤%. على حين عبر مرتاض، في مقالات المدونة، عن مفهوم القراءة بالصيغ الفعلية حوالي إحدى وعشرين ومائة (١٢١) مرة؛ أي بنسبة ٢٩,٣٦%. وفيما يأتي بيان ذلك كله:

١,٥- في الكتب: تتوزع مصطلحات "القراءة" بمعناها الفعلي بكيفية غير متكافئة بين الكتب العشرة المدروسة. وقد استأثر كتاب "شعرية القصيدة" وحده بأكثر من ٢٠% من أفعال القراءة، يليه كتاب "في نظرية الرواية" الذي ترددت فيه هذه الأفعال خمسا وستين (٦٥) مرة؛ أي بنسبة ١٥,٧٨%. ونجد، بالمقابل، كتبا أخرى يقل فيها ورود مصطلح "القراءة" فعلا؛ مثل: "بنية الخطاب الشعري" (عشر مرات)، وكتاب "النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟" (تسع مرات). وثمة كتاب استعمل فيه المصطلح الفعلي مرة واحدة؛ ويتعلق الأمر بكتاب "أ – ي". ويبرز الجدول الموالي مرات ورود هذا المصطلح في كل كتاب من كتب المدونة، ونسبة هذا الورود، وموقع الكتاب داخل المدونة من حيث كَمُّ استعمال المصطلح المذكور:

عنوان الكتاب	رتبته	مرات ورود المصطلح فيه	نسبة الورود
شعرية القصيدة	١	٨٣	%٢٠,١٥
في نظرية الرواية	٢	٦٥	%١٥,٧٨
فن المقامات في الأدب العربي	٣	٤٨	%١١,٦٥
الأدب الجزائري القديم	٤	٢٥	%٦,٠٧
التحليل السيميائي للخطاب الشعري	٤	٢٥	%٦,٠٧
الجدل الثقافي	٦	١٤	%٣,٤٠
تحليل الخطاب السردي	٧	١١	%٢,٦٧
بنية الخطاب الشعري	٨	١٠	%٢,٤٣
النص الأدبي	٩	٩	%٢,١٨
أ – ي	١٠	١	%٠,٢٤
المجموع		**٢٩١**	**%٧٠,٦٤**

٢,٥- في المقالات: ورد فعل القراءة بصيغتي البناء للمعلوم والبناء للمجهول، وفي الماضي والمضارع، أقل بكثير مما ورد في الكتب. بحيث لم يصل عتبة الثلث،

على الرغم من أنه استعمل في خمس وعشرين (٢٥) مقالة. وقد جاء موزعا بين هذه المقالات على النحو الآتي:

عنوان المقالة	رتبتها	مرات ورود المصطلح فيها	نسبة الورود
القراءة، وقراءة القراءة	١	٢٦	%٦,٣١
ممارسة العشق بالقراءة	٢	١٥	%٣,٦٤
تقاليد القراءة	٣	١٤	%٣,٤٠
هل الحداثة فتنة؟ !	٤	١٠	%٢,٤٣
حوار مع د. عبد الملك مرتاض	٥	٧	%١,٧٠
صورة المقاومة...	٥	٧	%١,٧٠
نظرية، نص، أدب	٧	٦	%١,٤٦
التحليل السيميائي للخطاب الشعري	٨	٥	%١,٢١
مدخل في قراءة البنوية	٨	٥	%١,٢١
"علامات": الظاهرة.. الموقف	٨	٥	%١,٢١
العجائبية في رواية "ليلة القدر"	١١	٣	%٠,٧٣
الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث	١٢	٢	%٠,٤٩
نظرية التقويض	١٢	٢	%٠,٤٩
إشكالية التأويل في القرآن	١٢	٢	%٠,٤٩
التأويلية بين المقدس والمدنس	١٢	٢	%٠,٤٩
معالم الأدب العربي الحديث في الجزائر	١٦	١	%٠,٢٤
قراءة نقدية...	١٦	١	%٠,٢٤
الأدب... والعلوم الإنسانية	١٦	١	%٠,٢٤
بين السمة والسيمائية	١٦	١	%٠,٢٤
الصورة الأدبية	١٦	١	%٠,٢٤
الغذامي كما عرفته	١٦	١	%٠,٢٤
اللغة العربية...	١٦	١	%٠,٢٤
الثقافة العربية من أين وإلى أين؟	١٦	١	%٠,٢٤
الألغاز الشعبية الجزائرية	١٦	١	%٠,٢٤
مناهج البحث في الحكاية الخرافية	١٦	١	%٠,٢٤
المجموع		**١٢١**	**%٢٩,٣٦**

نستشف من هذين الجدولين أن مصطلح "القراءة" بمعناه الفعلي قليل التردد في المدونة؛ إذا ما قارناه بمعنيي المصطلح الاسمي والمصدري، وأن حضوره يكاد يكون متركزا في الكتب، وأن وروده في أكثر المقالات لا يتجاوز سقف العشر مرات.

٦- تدل مؤشرات كثيرة من مواد المدونة على مدى احتفال مرتاض بتعريف مفهوم القراءة، من ذلك إفراده دراسات مستقلة لبحث أمر القراءة وما يرتبط بها من قضايا، وسؤاله المتكرر – في أكثر من موضع – عن ماهية القراءة، واجتهاداته الملموسة في اقتراح تعريف أو تعريفات لها.

٧- يدل مصطلح "القراءة" في كتابات المدونة على جملة معان، يمكن أن نجملها بالآتي:

١,٧- القراءة بمعنى تحليل نص، أو تفكيكه، أو شرحه، أو التعليق عليه، أو تفسيره، أو تأويله:

١,١,٧- **القراءة بمعنى تحليل نص من النصوص:** وهو المعنى الغالب عليها في كتب مرتاض ومقالاته.

ومما يدل عليه قوله إن: "**القراءة تنصرف... إلى تحليل نص أدبي ما** بالكشف عما في طياته من فنيات، وبتعرية ما فيه من مفاتن وجماليات" (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٧). وقوله كذلك: «وأيا كان شأن **هذا الذي يأتي إلى نص ما، فيكتب من حوله تحليلا**، فإنه لا يستطيع أن يفلت من صنف القراء. كما أن **مسعاه لا يفلت من مفهوم القراءة**»(مرتاض، ١٩٩٢، ص ٧). وقوله متسائلا عن كيفية قراءة النص وتحليله: «**فكيف** إذن **نقرأ النص حين نقرأه؟ ومن أين نبدأ**، إذن، **في قراءته** حين نبدأه؟...؟...؟ وإذن **فلم نقرأه؟ وبأي الأدوات نتناوله؟** وفي أي مقاربة نجريه؟...»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٦).

ويعبر مرتاض عن هذه القراءة أحيانا "بالكتابة التحليلية" (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٦)، وأحيانا بـ"الابتداع" (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٢١). وقد وصفها، مرارا، بـ"التحليلية" (مرتاض، ١٩٩٢، ص ٩، مرتاض، ١٩٩٥، ص٢٢٧). ولا يمكنها – بأي حال– أن تتنصل من قبضة التحيز تنصلا تاما، وتلتزم قيود العلمية التزاما صارما (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٢١). ولعل هذه القراءة: "أن تكون القراءة الأدبية الأشيع على عهدنا هذا" (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٠-٢٠١).

٢,١,٧- القراءة بمعنى التشريح أو التفكيك:

وهو ما قد يستفاد من قوله عن الشرح التراثي، والقراءة الحداثية: «إذا كان لمصطلح "الشرح" في تقاليد الأجداد أصوله التي لا تكاد تند عن مرتاض ثلاثة مستويات: نحوية، ولغوية، وأسلوبية؛ فإن عيب القراءة الحداثية، أو التي نزعمها كذلك، أنها، ربما، تهيم في كل واد جَدْب، وتَمْثُل في كل ناد قفر؛ فتتخذ لها أشكالا لا حدود لها... فمن شاء من الناس، اليوم، أن يقرأ قرأ، ولو لم يقرأ؛ ولو لم يك بقارئ! ولو لم تكن له أي قابلية لهذه القراءات التي تُلْفي بعضها يركض خارج الحلبة، ويتوجه بعيدا عن النص المقروء؛ فيسرح في الخلاء، ويتيه في الفضاء؛ بحيث **لا تعمِد مثل هذه القراءة إلى النص الأدبي، فتجيء عليه بالتشريح...**»(مرتاض، ١٩٩٥ ص ٢٠٣). وقوله عن بعض ما أسفر عنه تطور النقد الأدبي الغربي الحديث من نتائج على المستوى المنهاجي: «... فكان، إذن، لا مناص من التفكير في **جهاز إجرائي جديد** لتسخيره في **قراءة النص، وفك شفراته، وتحليل جمالياته**، والعَمْد إلى تأويله على نحو من المعرفة الفلسفية العالمية ترقى به من البساطة والسطحية، إلى السمو والعمق... ولعل ذلك ما تطلع عليه **دريدا** في بلورته للتأسيسات التقويضية التي تسعى إلى **معالجة النص الأدبي، وتشظيته، وتبديد عناصره** اللسانية، واللسانياتية جميعا...، قبل العمد إلى **تركيب المتشظيات والمتبددات** من عناصره **لإقامة بناء أدبي يستند إلى الأصل دون أن يكونه...**» (مرتاض، ١٩٩٥ ص ٢٠٣).

٣,١,٧- القراءة بمعنى الشرح:

ومن أوضح النصوص وأدلها على هذا المعنى القديم قولُه: «العرب من الأمم التي تعاملت مع النص الأدبي على أساس من انفتاحيته وعطائيته، منذ القدم، بحيث ألفيناهم يَكْلَفون كَلَفا شديدا ببعض النصوص الأدبية الكبرى؛ مثل **شعر المتنبي الذي وصلنا من الشروح التراثية أكثر من ثلاثين شرحا أو قراءة عنه؛ لعل أشهرها قراءات ابن الأثير، وابن جني، وابن سيده، ...**» (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٦). وقوله عن أحد مظاهر ممارسة قراءة القراءة في التراث الأدبي العربي: «كثيرا ما كانت قراءة القراءة تسفر عن أثعبانها وتبدي عن نواجذها، فتصرح بتمحض هذه القراءة لأثر بعينه، من وجهة نظر بعينها، مثل ما جاء... ابن الدميك، الذي كانت له تصانيفُ وردودٌ على ابن جني؛ منها **تتمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة**. فواضح من عبارة ياقوت أن **ابن الدميك كان في ذهنه، وهو يؤلف هذا الشرح، أن يعارض بقراءته هذه قراءة ابن جني لأشعار**

الحماسة، وإبداء ما قصر فيه ابن جني، مصححا وموسعا»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٧)، وقوله في التمثيل لنقاد العربية القدامى ممن جمعوا إلى الاختصاص الأدبي الاختصاص اللغوي، ومعرفة دقائق اللغة العربية وأسرارها: «يمكن أن نضرب مثلا بالقاضي أبي عبد الله... **الزوزني** في **شرح المعلقات السبع**، وأبي علي... **المرزوقي** في **شرح ديوان الحماسة** الذي جمعه أبو تمام... وأبي زكريا... **التبريزي**... في **شرح سقط الزند** لأبي العلاء المعري الذي تضافر على **شرحه أيضا**، بعد أبي العلاء نفسه، أبو محمد... **البطليوسي**... وأبو الفضل... **الخوارزمي... فمعظم هذه القراءات إنما تنهض على المنهج الثلاثي المستويات** الذي كنا أومأنا إليه» (مرتاض، ١٩٩٥ ص ٥٤).

٤,١,٧- القراءة بمعنى التعليق على كلام:

ومن نصوص هذه القراءة في المدونة قول مرتاض: «إن **التعليق**، في أي صورة من الصور قدمته، **يكون وجها من وجوه القراءة** الأدبية، ويحيل على مستوى معين منها»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٠). ولاشك في أن هذا المعنى بدائي ساذج، يجعل التعليق منصرفا إلى "سَوْق كلام على كلام، ورَكْم قول على قول، دون أن يرقى إلى مستوى النقد أو التحليل (القراءة بالإطلاق الحداثي)" (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٢). وفي كل الأحوال، لا ينبغي للقراءة من جنس التعليق "أن ترقى إلى المستوى الإبداعي الذي يفترض افتراضا في ماهية القراءة الأدبية التي ترتدي رداء المفهوم الفني المعاصر"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٠).

٥,١,٧- القراءة بمعنى التفسير أو التخريج:

وهذا المعنى قليل جدا في كتابات مرتاض. ومن شواهده قوله: «نعتقد أن ابن جني، وأبا علي الفارسي، وابن سيده قد يكونون أقدر النحاة العرب على **قراءة الأبيات المشكلة الإعراب، والتوغل في تخريجاتها الإعرابية** إلى حدود المبالغة والتعسف» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٥).

٦,١,٧- القراءة بمعنى تأويل نص أدبي:

ومما يدل عليها قول مرتاض: «فالنقد قراءة، مجرد قراءة شخص محترف لنص أدبي ما. والأدوات التي يصطنعها في فهم هذا **النص** أو **قراءته؛ أي تأويله** هي [التي] تحدد معالم التحليل الذي ينشأ عن مسعاه الأدبي»(مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٤٤). وقوله راصدا بعض ما في زوج (وقد مرقت نفسي – فطال مروقها)، المأخوذ من هائية الشاعر التيهرتي القديم بكر بن حماد "ذكر الموت"، من تشاكلات: «يأتي التشاكل إلى هذين الزوجين من حيث التجانس اللفظي: (مرق –

مـروق). وأمـا التشـاكل الآخـر، فإنـه ذلـك الماثـل فـي قولـه: (مرقـت نفسـي – طـال مروقهـا). حيـث إن **تأويـل** (طـال مروقهـا)، مـن الوجهـة النسـجية، إنمـا هـو (طـال – مـروق نفسـي)؛ فيغتـدي التشـاكل المتجـانس مركبـا، مـن هـذا المنظـور مـن **القـراءة**» (مرتـاض، ٢٠٠٠، ص ١٤٥). وقولـه فـي معالجـة الوحـدة الشـعرية (غـاب القمـر المشـتاق)، المقبوسـة مـن قصـيدة عبـد العزيـز المقـالح "أشـجان يمنيـة"، معالجـة سـيميائية حيزيـة: «إن هـذا الغيـاب لا ينبغـي لـه أن يقـع فـي عـدم، بـل حتمـا وقـع فـي حيـز معلـوم. ثـم إن القمـر نفسـه، وبـأي **تأويـل مـن القـراءة نقـرؤه**، يجسـد الحيـز الجغرافـي المـادي إن **قرأنـاه** علـى ظـاهره؛ أمـا **إن قرأنـاه فـي سـياقه المجـازي**، فإنـه، كمـا يبـدو ذلـك واضـحا، يغتـدي سـيدة جميلـة سـاحرة. وهـي حيـز حـي متحـرك بـديع، ولا تتحـرك إلا فـي حيـز أيضـا. فهـي إذن حيـز، ومـا حولهـا ومـا تحتهـا ومـا فوقهـا حيـز»(مرتـاض، ١٩٩٤، ص ٢١٢). وقـد وردت القـراءة، مـرات، موصـوفة بالتأويـل (القـراءة التأويليـة) (مرتـاض، ١٩٩٥، ص ٢٣٤ – مرتـاض، ص ٥٢٨)، وبالتـأوُّل (القـراءة المتأولة) (مرتاض، ١٩٩٤ ص ٢٢١).

إن اقتـران الفعـل القرائـي بعمليـة التأويـل شـبيه جـدا باقترانـه بعمليـة الكتابـة، التـي لا سـبيل إلـى تحققهـا إلا بهـذا الفعـل الـلازب لهـا (باعشـن، ٢٠٠١، ص ١٢٠). ويؤكـد ميشـال بيكـارد (M. Picard) أن "أي قـراءة تكـون تأويليـة (Interprétative). وهـذا يتجـاوز، بتوسـع، المطابقـة البسـيطة والفجـة للـنص؛ بتكـوين الـدلائل، وتهييء المـداليل"(Picard,1986, p 204). ويميـز بعـض الدارسـين بـين القـراءة والتأويـل مـن زوايـا نظـر محـددة؛ مثلمـا فعـل الباحـث السـوري عبـد الواحـد علـواني حـين قـال: «العلاقـة بـين التأويـل والقـراءة تتوضـح مـن خـلال أسـبقية أحـدهما علـى الآخـر. فقـراءة الـنص تحتـوي جانبـا تأويليـا، وعنـدما نقـرأ الـنص ابتغـاء تأويلـه، فإننـا نمـارس قـراءة معينـة لهـا خصوصـية معينـة. فـالقراءة لا تتجـه نحـو تأويـل محـدد، ولكـن لا تحيـد عـن تأويـل يلائمهـا. فـي الوقـت الـذي نجـد فيـه أن التأويـل يرمـي أصـلا مـن خـلال قـراءة محددة/نقديـة إلـى تأسـيس وجـوده»(علـواني، ١٩٩٤، ص ١٤). وفـي الاتجـاه نفسـه، يقـول والتـر سـلاتوفّ (W. Slatoff) "إن القـراءة شـرط مسـبَّق ضروري لجميع عمليات التأويل الأدبي (إسماعيلي، ٢٠٠٣، ص ١٣٠) .

٢,٧ – القراءة بالمعنى المنهجي:

ومـن النصـوص الدالـة علـى هـذا الأمـر قـول مرتـاض فـي رد أحـد مآخـذ الناقـد إبـراهيم السـامرائي علـى كتابـه "بنيـة الخطـاب الشـعري"، الـذي أثـار عقـب صـدوره جـدالا واسـعا فـي دنيـا النقـد العربـي المعاصـر: «... وثالثـة: يبـدو أن الأمـر قـد التـبس عليـه،

فلم يميز بين ما يندرج ضمن نظرية الشعر من حيث هي ماهية، **وإجراءات التحليل من حيث هي قراءة**»(مرتاض، ١٩٩٤، ١/١٣٣). وقوله عن الخيار المنهاجي الذي سار على هديه في تناول النصوص الأدبية: «وقد دأبنا نحن في **تعاملنا مع النصوص التي تناولناها** على محاولة المزاوجة أو المثالثة أو المرابعة بين جملة من الأجناس **باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بمنظور أحادي إلى النص**» (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٤٥).

وتُوظَّف "القراءة" بهذا المعنى لدى كثيرين من النقاد؛ أمثال بشير القمري، الذي عد القراءة "إجراء من إجراءات التعرف على بنية النص الظاهرة والخفية، وتحديد عملية التّدالّ فيه (فيها) من حيث علائق مستوى المعنى الخطي بمستوى الدلالة الشكلية والوظيفية"(القمري،١٩٩١، ص ١٣). وعبد السلام المسدّي، الذي جعلها مقولة منهجية؛ لها جوهرها المفهومي على مستوى التجريد، وفعاليتها الإجرائية على مستوى الاستقراء(القمري، ١٩٩١، ص ١٣).

٣,٧- القراءة بمعنى الكتابة:

وسنعالج هذا الأمر انطلاقا من شقي الكتابة الرئيسين؛ النقد، والإبداع.

١,٣,٧- القراءة بمعنى الكتابة النقدية:

ويرد هذا المعنى في كثير من كتابات مرتاض النقدية، ولا سيما الأولى منها، ذلك بأن تحولا سيطرأ على تصوره لهذه القراءة في كتاباته الأخيرة بخاصة.

ومما يشهد لتسوية مرتاض بين مفهومي القراءة والنقد قوله عن تميز روايات نجيب محفوظ: «**كل من يقرأ** أعمال نجيب محفوظ، كلها أو بعضها، أو عملا واحدا منها (ونريد بالقراءة هنا إلى النقد) سيلاحظ أن له خصائص معينة تسم خطابه الروائي جملة. وعلى أن هذا الحكم ليس من اليسير إثباته إلا بقراءة حداثية كاملة، متأنية لآثاره، من أجل استخلاص الخصائص العامة للغة السردية لديه» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٦٣). وقوله: «ليس النقد في شيء من حقيقته إلا قراءة، مجرد قراءة شخص محترف لنص أدبي ما»(مرتاض، ١٩٩٢، ص٨). وقوله كذلك: «هلاَّ وضع الناس قواعد متفقا عليها فيفزعون إليها لدى قراءة الأشعار في أي مستوى من مستويات القراءة النقدية» (مرتاض، ١٩٨٦، ص ٥).

ويرى مرتاض أن النقاد المعاصرين أخذوا يستعيضون عن اصطلاح (النقد) بإطلاق آخر؛ وهو القراءة، التي ليست، في العمق، إلا امتدادا مفهوميا، ومعادلا مصطلحيا للنقد، الذي كان يتمحض، بالأساس، لإصدار الأحكام في الكتابات التقليدية. يقول عن تصور النقاد المعاصرين لطبيعة علاقة النقد بالإبداع: «لكي يدمر المعاصرون تلك العلاقة المجحفة بين الإبداع والنقد، أو قل بين الإبداع الأول

والثاني، أصبحوا **يجنحون إلى أن يطلقوا على نشاطهم الكتابي** إطلاقات غير النقد في الغالب، ومن هذه الإطلاقات الشائعة على عهدنا هذا: "**القراءة**". وعلى الرغم من **أن مفهوم القراءة، أولا وأخيرا، ليس إلا نقدا** بإطلاق التقليديين، إلا إن التدمير للمفهوم التقليدي للنقد، يبتدئ من التنكر لاسمه، والاستعاضة عنه بهذه القراءة ذات المفهوم الحصري الأكثر تحضرا في علاقات الناس بعضهم ببعض: (والناس هنا: الأدباء خصوصا)» (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٧). وأكثر من هذا، فقد أضحت القراءة الآن، بفضل شمول مدلولها وشسوعه، تجنح إلى منافسة النقد، واحتوائه، ولِمَ لا تنحيته. يقول مرتاض: «فكما أن مفهوم الكتابة، على بعض عهدنا هذا، يجتهد في أن يلغي مفهومي الشعر والنثر ثم يجعلهما معا تحت قبضته، منضويين تحت اسمه، **فإن القراءة، هي أيضا، تتطلع إلى أن تزاحم النقد، وربما إلى الإطاحة به... فكأن القراءة، في التقليد الأدبي المعاصر، مفهوم جامع لكل الأنشطة الإبداعية والفكرية التي تثمرها النصوص الأدبية** التي نمارس عليها قراءة ما»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ١٩٧).

وقد وقع مرتاض في كتاباته الأخيرة في مغالطة طالما وقع فيها هو والكثير من مجايليه، وتتمثل باللبس الحاصل بين النقد والقراءة، كونهما مجالين مختلفين، على الرغم مما بينهما من قواطع مشتركة. فـ"القراءة تختلف، نحوا ما، عن النقد، والنقد يختلف، نحوا ما، عن القراءة. فهما على التقارب متباعدان، وهما على التشابه مختلفان..." (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٥)، ويميز عدد من الدارسين العرب المعاصرين بين العمليتين النقدية والقرائية، من زوايا شتى. يقول عبد العزيز وهب، مثلا: «إذا كانت العملية النقدية تقوم على محاولة بلوغ المعنى من طرف الناقد؛ بواسطة الشرح والتفسير والتأويل، فإن عملية القراءة، التي يضطلع بها قارئ الأعمال الأدبية، تسلك مسلكا مغايرا تماما. فإذا كانت مهمة الناقد تقوم، أساسا، على اعتبار النص موضوعا ينبغي تفسيره وشرحه، فإن مهمة القارئ تنصرف إلى رصد الآثار التي يخلفها النص على قارئه؛ من هنا يبدو لنا أن مهمة القارئ تكمن في تحيين النصوص الأدبية، وهنا يجد القارئ نفسه في حوار مع النص...» (وهب، ١٩٩٥، ص ١٠). ويميز ادريس الناقوري بين النقد والقراءة (ولعله يقصد القراءة بمعناها الشائع) على أساس أن الأول: "مطالعة متخصصة تقوم على مراجعة النص المدروس، وعلى الرغبة في فهمه وتفسيره ونقده؛ بهدف تقريبه إلى القراء وتيسير عملية تناوله وتداوله، أو من أجل طرح ومناقشة ما يثيره من

صعوبات وتقويم ما يحتويه من عيوب ونواقص وتوضيح ما يكتنفه من غموض"(الناقوري، ١٩٩٥، ص ٥٣).

٢,٣,٧- القراءة بمعنى الكتابة الإبداعية:

أي أنها: "كتابة تترجم ما في الخاطر الجياش، وتكشف ما في الضمير من العواطف الطفاحة"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٨)، و:"إنطاق الذات بما هو مغيَّب في مجاهلها وأوازِمها" (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٨). فالكتابة، بهذا المعنى:"لا تعدو كونها في حقيقتها قراءة لشيء ما في النفس، أو لأثر ما في القريحة، أو لهاجس ما في المخيلة"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٣).

ومن النصوص الدالة على هذا المعنى القرائي قول مرتاض: «إن العمل السردي الذي ينشئه الكاتب، أو يكتبه المؤلف، يظل قائما بمعزل عن قراءته؛ وذلك على الرغم من أننا **نربط الكتابة بالقراءة ربطا حميما**؛ لكن بالقياس إلى **المؤلِّف** نفسه الذي **يقرأ مخيلته، فيستخرج منها ما هو فيها بالكتابة. فكتابته، من هذه الوجهة، قراءة**» (مرتاض، ١٩٩٨، ص ٢٨٢).

والواقع أن هذا المعنى مستحدث في المشهد الثقافي الحديث. فقد كان يجري التفريق بين القراءة والكتابة على أساس من كونهما أمرين متقابلين؛ إذ القراءة متمحضة لما هو منطوق وغير مدون، على حين أن الكتابة، كما يقول بارط (R. Barthes): " قضاء على كل صوت... الكتابة هي... هذا التأليف واللف الذي تتيه فيه ذاتيتنا الفاعلة. إنها السواد – البياض الذي تضيع فيه كل هوية، ابتداء من هوية الجسد الذي يكتب" (بارط، ١٩٨٦، ص ٨١). وتحدد، عادة، صلة القراءة بالكتابة تحديدا سببيا؛ أي باعتبار القراءة سببا ومقدمة أولى ضرورية للكتابة. "وكأن القراءة أم، والكتابة ابنتها. أو كأن القراءة أصل، والكتابة فرع منها، أو مظهر لها"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٢).

٤,٧- القراءة بمعنى التناص:

ومن شواهد هذا المعنى قول مرتاض إن: "**القراءة، في حد ذاتها، تناص صُراح مع قراءة سبقتها**؛ من أجل أن تندمج فيها، أو تقوضها لتُطَنِّب عليها قراءة جديدة: فكأنها تقويض وتطنيب"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٦). وقوله: «إذا كان الأدب، كان يقوم لدى النقاد العرب، وخصوصا لدى ابن خلدون، على الحفظ ثم نسيان ذلك المحفوظ من الشعر، ثم محاكاته لتربية المَلَكة؛ فإن **الأدب في النظريات النقدية المعاصرة يقوم أساسا على القراءة** لا على الحفظ. **وهذه القراءة، بحكم ماهيتها، لا يمكن أن تحفظ ثم تنسى، وإنما تختزن؛ كلها أو بعضها في الذاكرة**

الخلفية، فيظهر تأثيرها في الوقت الملائم في أثناء الكتابة أو في أثناء الحديث. وهذه المسألة هي ما يُطْلِق عليها النقد المعاصر "التناص"...»(مرتاض، ١٩٩٠، ص ٢٨٩-٢٩٠). فحفظ النصوص ونسيانها، في التصور النقدي العربي القديم، وقراءة النصوص السابقة، في التصور السيميائي الحديث، هما أساس فكرة التناصية التي تقارف المبدع أيا كان شأنه(مرتاض، ١٩٩١، ص ٨٢).

وفي بعض كتابات مرتاض ما يدل على أن القراءة، بهذا المعنى الحداثي السيميائي، ليست من ثمرات اجتهاده الخاص، بل أخذها عن الناقد الفرنسي جان ريكاردو (J. RICARDOU)، الذي زعم أن قراءة أي نص أدبي، تستتبع، في الواقع، قراءة مجموعة من النصوص، وذلك من منطلق أن القراءة تثير في الذهن شبكة من علاقات النص بغيره من النصوص في الوقت ذاته (RICARDOU,1967, P 38-43).

٥,٧- القراءة بمعنى النص أو الكتاب المقروء:

ولهذا المعنى الأسمي ثلاثة شواهد في المدونة (مرتاض، ١٩٩٧،أ، ص ٢٢٥/ ٢٢٧ – مرتاض، ١٩٩٧، ص ١٥٤). يقول في أحدها: «حاول أحد التربويين في الجزائر وضع لغة المحادثة في المدرسة الابتدائية على حسب الشائع الفصيح في اللغة العامية المحلية، وإدراجه في المنظومة اللغوية في درس المحادثة، وفي لغة **كتب القراءة**» (مرتاض، ١٩٩٧، ب، ص ٢٢٦-٢٢٧).

المبحث الثاني: موضوعات "القراءة" في المدونة:

تلكم، إذاً، مجمل معاني "القراءة" في الاستعمال النقدي للدكتور مرتاض، ومن خلال تصفح نصوصها سيظهر لنا أن موضوعات هذه القراءة يمتاز بالتنوع والتشعب، ويمكن لنا أن نبسطه **على النحو الاتي:**

١- الموضوع الأدبي والنقدي:

وهو كثير جدا، ويتجلى في الآتي:

* **النص المقدس (النص القرآني بخاصة):** وقد ورد موضوعا للقراءة في بعض نصوص المدونة، منها قوله: «إن في الثقافة الإسلامية إجراء جاء بتوجيه من القرآن... لحض العلماء المسلمين على التفكير، وعلى السعي إلى تأسيس آداب رصينة **لقراءة النص القرآني** تعوّل في أسسها المعرفية على التعمق في العلم، وعلى التبحر في معضلاته إلى درجة بلوغ الرسوخ، أو شيء من الرسوخ فيه، على الأقل»(مرتاض، ١٩٨٧، ص ٢٧٣).

* **الكلام:** ومما يدل على أنه موضوع للقراءة قوله في تحليل نص السياب "شناشيل ابنة الجلبي"، سيميائيا: «في **هذا الكلام** وجود حال من الظلال نشأت عن تراكب القصب، وتداخل أوراقه المخضرة على وجه الدهر؛ بعضها في بعض، أو بعضها فوق بعض آخر. **فالكلام**، إذن، يركض، بحكم هذا المنظور من **القراءة**، في سياق انتشاري طبيعي» (مرتاض، ٢٠٠١، ص ٥٣).

* **النسيجة والتركيبة الكلاميتان:** ومن النصوص المندرجة في هذا المضمار قوله في تتمة تحليل النصيص السابق: «... وحتى إذا **قرأنا هذه النسيجة الكلامية قراءة مُماثِلية** (إقونية)، فإن مبدأ التباين يظل قائما؛ حيث إن الظلال يمكن أن تكون أثرا من آثار الشمس – إذ لا ظل إلا بشمس – فتغتدي مماثلا مقلوبا لها. ولا يقال إلا نحو ذلك في الخصب الذي القصبُ الأخضر امتداد منه، ونسخة عنه، ومظهر من مظاهره؛ فإذا الخصبُ كأنه مماثل للماء، مع تساهل في الصرامة المفهومية للمماثل...» (نفسه). وقوله في معالجة عبارة "ذرى السعف"، الواردة في نص السياب المذكور قبل قليل، معالجة سيميائية حيزية: «إذا حق لنا أن **نقرأ هذه التركيبة الكلامية**، مستوحين سياق نصها الذي نبتت فيه، **قراءة تأويلية**؛ فإننا نقول: لقد أولع النص بهذا التحييز الذي طوّف في الأرض، ثم امتد إلى نحو العلاء، ثم هوى، أو جنح للهُوِيّ، إلى نحو الأرض تارة أخرى لينتهي فيها. ومن الطبيعي أن نطوف ما نطوف، ونحلق ما نحلق؛ ثم نأتوي إلى الأرض التي ولدنا فيها» (مرتاض، ٢٠٠١، ص ١٢٥).

* **القول:** يقول عن أحد معانم قصيدة جزائرية قديمة في سياق رصد جوانب الشعرية اللغوية فيها: «إنما يقصد، سيمائيا، بـ"مات" إلى الانتهاء والزوال، وبالأسود إلى بعض ما ذكرنا من حوله آنفا. وعلى أننا نستطيع أن **نقرأ هذا القول قراءات سيميائية أخراة** دون أن يكون ذلك مستنكرا أو مستنفرا. وكل قراءة ستهبنا من الصور والدلالات والرموز ما لا يمكن حصره...» (مرتاض، ٢٠٠٠، ص ١١٣).

* **النص:** ومن نصوص المدونة الجيدة الدالة على كون النص موضوعا للقراءة قوله: «**النص** من حيث ما يمثل، في مألوف العادة، عجينة كريمة طيعة، سمحة لا يكون له أي دخل حاسم، في كل الأطوار، في تكييف **التحليل المتناول به، أو فيه**؛ وإنما **القراءة** التي **تمارس عليه** هي التي ترتفع به أو تسفّ؛ بناء على طبيعة الأدوات التي تتسلح بها، والمستويات الفنية، والتقنية، التي تسخرها أثناء هذه **القراءة**»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠).

* **النصـوص:** ومـن أنفـس أدلتـه قـول مرتـاض عـن قصـور القـراءة المنهاجيـة الأحاديـة: «... وقـد تكشـف لنـا مـن خـلال خلاصـنا الطويـل **لقـراءات النصـوص**؛ شـعريها ونثريهـا، فصـيحها وشـعبيها... أن القـراءة أحاديـة المسـتوى – مهمـا دقـت إجراءاتهـا، واكتملـت أدواتهـا – لا تسـتطيع أن تـؤدي كـل مـا ينبغـي أن يـؤدَّى ممـا فـي الـنص مـن قيم فنية، ومفاتن جمالية، ومكامن أدبية...» (مرتاض، ١٩٩٦، ص ٥٨).

* **الأدب:** يقـول: «كـذلك يتحـول الأدب مـن موقـع الإجابـة علـى الأسـئلة، إلـى سـؤال قـائم بذاتـه. كمـا تحولـت **قـراءة الأدب** إلـى **أدب** نفسـه؛ أي إلـى **أدب** يظـل جثـة هامـدة ولا يحيـا إلا **بـالقراءة**. فكـأن القـراءة هـي حيـاة الأدب...» (مرتـاض، ١٩٩٨، ص ٢٤).

* **الأثـر الأدبـي:** يقـول عـن تلقـي مثقفـي الجزائـر وأدبائهـا لأحـد كتـب طـه حسـين: «نجـد مـثلا طـه حسـين يسـتلهم التـراث الفكـري الإسـلامي، فيكتـب بروعـة فائقـة "**علـى هـامش السـيرة**"، **فيقـرأ** الجزائريـون هـذا **الأثـر الأدبـي** الراقـي؛ إمـا معجبـين بـه، أو نـاقمين منـه نـاعين عليـه، دون أن يجيئـوا شـيئا أكثـر مـن ذلـك»(مرتـاض، ١٩٨٢، ص ١٠٧).

* **الآثـار:** ويسـتفاد كـون الآثـار موضـوعا للقـراءة، ومـادة لهـا مـن الـنص الآتـي: «فكـأَيِّنْ مـن كاتـب تتلمـذ علـى تلميـذ آخـر دون أن يعـرف لـه شخصـا، أو يشـهد لـه وجهـا؛ وإنمـا هـو الاتصـال بواسـطة **قـراءة آثـاره** الأدبيـة والفكريـة، مـع إعجـاب كـان يصـاحب هـذه **القراءة** غالبا»(مرتاض، ١٩٨٢، ص ١٠٦).

* **العمـل:** يقـول: «إن **قـراءة** طـه حسـين والأبيـاري **لعمـل** أبـي العـلاء (لـزوم مـا لا يلـزم) يجـب أن تنضـوي تحـت مصـطلح "الشـرح". وهـو مـا صـرح بـه الشـيخان، فـي العنـوان، وهـو شـرح مـاض فـي إجراءاتـه علـى سـيرة القـدماء مـن التـزام ثلاثـة مسـتويات: شـرح اللغة، وتخريج الإعراب، ثم نثر البيت»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٦٢).

* **الأعمـال:** يقـول: «كـل مـن **يقـرأ أع:** «كـل مـن يقـرأ أعكلهـا أو بعضـها، أو عمـلا واحـدا منهـا **(ونريـد بـالقراءة هنـا إلـى النقـد)** سـيلاحظ أن لـه خصـائص معينـة تسـم خطابه الروائي جملة»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٦٣).

* **الكتابـة:** ومـن الشـواهد النفيسـة علـى هـذا الموضـوع القرائـي قولـه: «نحـن نعلـم بـأن القـراءة قراءتـان اثنتـان: إحـداهما قـراءة مسـتهلكة، أو عقيمـة، أو قـراءة تكـون لـذاتها... أمـا القـراءة الأخـرى فهـي التـي يمكـن أن نصـفها بالمنتجـة أو المثمـرة؛ وهـي **قـراءة المحتـرفين للكتابـة**. والتناصـية تبـرز بشـكل عملـي "مكتـوب" فـي أعمـال هـؤلاء أكثـر ممـا تبـرز فـي سـلوك الصـنف الأول. فهـؤلاء يجسـدون كثيـرا ممـا يقـرأون إلـى نصـوص

أخراة، سواء عليهم أصرحوا بذلك وأحالوا عليها، مثل الباحثين، أم صمتوا عن ذلك ولم يحيلوا على أي منها صراحة مثل المبدعين»(مرتاض، ١٩٩٠، ص ٢٩٠).

* **الخطاب:** وقد ورد موضوعا للقراءة في بعض النصوص، منها قوله عن وحدة شعرية من وحدات نص السياب المشار إليه سابقا: «نصادف في هذه الوحدة الشعرية تراكما متراكبا من التشاكلات؛ بحيث نلفيها تتجسد في صدور أصوات متتالية، أو متزامنة متشابهة... ويسمي قريماس هذا الضرب من التشاكل: "التشاكل الدلالي"؛ وهو الذي ينهض على أحادية **القراءة للخطاب** عبر المنظور الدلالي...» (مرتاض، ٢٠٠١، ص ٦٣-٦٤).

* **الكتاب:** ومما يدل على هذا الأمر عنوان مقال مرتاض المنشور، في مجلة "العربي" الكويتية (ع ٤٥٨)، تحت عنوان «**قراءة** نقدية في **كتاب** "اللغة العربية.. إضاءات عصرية" للدكتور حسام الخطيب».

* **المعاني:** يقول في مقاله "إشكالية التأويل في القرآن": «... وفيما يلي اجتهاد في **قراءة معاني** مصطلحي التفسير والتأويل، وهما المصطلحان الاثنان اللذان يعنياننا هنا والآن...» (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٧٦).

* **الإبداع:** يقول مستفسرا عن دواعي احتفال نقاد الحداثة، كثيرا، بنظام اللغة: «لم يتحدث النقاد الحداثيون، لدى تعرضهم **لقراءة إبداع** ما وتحليله، عن اللغة؛ وخصوصا عن نظامها؟» (مرتاض، ١٩٩٨، ص ١٢٩).

* **العبارة:** ويمكننا التمثيل لها كونها موضوع القراءة بقول مرتاض عن عبارة "يا شاشا"، المأخوذة من قصيدة السياب المشار إليها آنفا: «يمكن أن نؤول **قراءة عبارة** "يا شاشا" على أساس أنه مجرد إشباع للفظ "شاشة"؛ كون المطر مبيض اللون، يتهاطل في أطوار كثيرة من سحاب أبيض اللون أيضا؛ فيكون في منظور هذه **القراءة** وسيلة للنشر والإظهار...» (مرتاض،٢٠٠١، ص ٩٥).

* **الزوجان (اللغويان):** ونصوص هذا الموضوع كثيرة في المدونة، ولاسيما في كتاب "شعرية القصيدة". ومنها قوله كاشفا بعض ما بين مكوني زوج (نخيل الجنوب – كرم الشمال) من تشاكل وتباين: «... هناك تباين آخر يتجسد في زوجي: (الجنوب – الشمال). ولكننا **بقراءة** أخراة **لهذين الزوجين** ذاتيهما، ومن وجهة نظر سميائية خالصة، ينقلبان إلى تشاكل صراح. وذلك باعتبار كل من الجنوب والشمال مكانا قبل كل شيء... (مرتاض، ١٩٩٤ ص ٥٩).

* **الكلمة، أو اللفظة:** ومما يندرج في هذا الإطار قوله عن تطور الممارسة القرائية لدى العرب من الجزئية إلى الشمولية: «كنا لاحظنا... أن الأصل في **القراءة** لدى

الأقدمين، كان يتمحض للبيت الواحد السائر، **والكلمة** الطائرة بين الناس. ولكن بتطور الكتابة الاحترافية ابتداء من نهاية القرن الثاني للهجرة وازدهارها طَوال القرون اللاحقة، بدأت القراءة تتسم بالشمولية؛ بامتدادها على امتداد النص، ...» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٧). وقوله عقيب شرحه لفظة وردت في شعر للمعري، كان قد شرحها طه حسين قبله: «وعلى ضوء بعض هذه **القراءة التي نقترئها** نحن **للفظة** أبي العلاء، لا يكون المعنى هو ما حلله الدكتور طه حسين في هذا النثر...» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٦٢).

* **التراث النقدي:** يقول في الدعوة إلى إعادة قراءة التراث النقدي العربي بآليات جديدة: «نهيب بالباحثين الشباب، على امتداد الوطن العربي المترامي الأطراف، أن يعيدوا **قراءة التراث النقدي** بروح جديدة، أي يعمدوا إلى **قراءته** بأدوات تقنية جديدة. وذلك في محاولة لإعادة صياغة النظرية النقدية العربية، حيث لا ينقصنا الآن من وسائل الفكر والعمل شيء»(مرتاض، ١٩٩١، ص ٧١).

* **القراءة، والشرح:** وتشهد على أن القراءة موضوع للقراءة (قراءة القراءة) نصوص كثيرة؛ يوجد معظمها في كتاب "شعرية القصيدة"، ومقال "القراءة، وقراءة القراءة". ومنها قوله: «الإضافة في قولنا: "**قراءة القراءة**" تعني تسلط **قراءة سابقة** دون أن نزعم **للقراءة اللاحقة** أن تكون أرقى من السابقة. فإنما الذي يعنينا هو **وجود قراءة تنسج من حول قراءة سبقتها:** تصفها، وتحللها، وتبلورها، وتستضيئها، وتبث فيها روحا جديدا لتغتدي منتجة مثمرة، بعد أن كان يفترض فيها أنها نهضت بوظيفة انتهت، بل بادت»(" مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٦). وتدل بعض النصوص على كون الشرح موضوعا للقراءة، من ذلك قول مرتاض: «كثيرا ما كانت قراءة القراءة تسفر عن أثعبانها...، فتصرح بتمحص هذه القراءة لأثر بعينه، من وجهة نظر بعينها؛ مثل ما جاء... ابن الدميك، الذي كانت له تصانيف وردود على ابن جني؛ منها تتمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة... كما قد يندرج سلوك أبي محمد الأعرابي في **قراءته لشرح** أبي عبد الله النمري في هذا التوجه»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٧-٥٨).

* **قراءة القراءة:** أحيانا تكون القراءة الممارَسة على قراءة أخرى موضوعا للقراءة في حد ذاتها. وكأننا بصدد ثلاث قراءات مترابطة متدرجة؛ الأولى تكون ميدانا للثانية، والثانية تكون مجالا للثالثة. ويسمي مرتاض القراءة الأخيرة باسم "قراءة – قراءة القراءة"، ويقترح له مقابلا في اللغة الفرنسية؛ وهو "Méta- métalecture"(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٠). وتجدر الإشارة إلى أن الرجل قد عبر عن مفهوم

هذه القراءة نفسها، في كتابه "في نظرية الرواية"، بالاصطلاح الرائج بين الدارسين (نقد – نقد النقد). ويصطنع أحد أعلام النقد المغاربي المعاصر لهذا المفهوم تعبير "لغة – لغة اللغة"، وهو ما نستشفه، جميعا، من قوله: «عن عالم الأشياء والمجرَّدات تتكلم باللغة، ثم باللغة تتحدث عما تكلمت به عن الأشياء والصور، وقد تعمد إلى اللغة فتتحدث بها من جديد عما تحدثت به عن كلامك الذي هو قولٌ عن الكائنات» ("المسدي، ٢٠٠٠، ص ٢١) ... وتكاد النصوص الدالة على كون قراءة القراءة موضوعا للقراءة أن تكون وقفا على مقال "القراءة، وقراءة القراءة"، ومنها النص الآتي: «... إن قرأنا نصا أدبيا ما فإن سعينا هذا سيندرج تحت دائرة المفهوم الثلاثي لهذا المصطلح، بحيث يغتدي، كما سلفت الإشارة، "**قراءة – قراءة القراءة**"»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٠).

* **النقد الروائي:** يقول في مقدمة كتابه عن نظرية الرواية: «ربما كانت **قراءتنا** المنهجية **للنقد الروائي** عائدة إلى عاملين اثنين: (...)» (مرتاض، ١٩٩٨، ص ٧).

* **السمة:** يقول في إطار معالجة سمة "الضحى"، الواردة في نص شعري، معالجة تشاكلية: «... كما أن **سمة** "الضحى" بعد أن **قرأناها** في إطار الانتشار، يمكن أن نعود إلى **قراءتها** في إطار الانحصار؛ وذلك إذا عومنا زمن الضحى في الزمن العام، أو في الدهر؛ إذ سيغتدي منحصرا بين الصبح والظهر، بحيث لا يكاد يجاوز ساعتين اثنتين من الزمان» (مرتاض، ١٩٩٦، ص ٦٨).

* **المقوِّم:** ولهذا الموضوع القرائي عدة شواهد في المدونة، منها قول مرتاض في قراءة مقوم "سحاب"، المأخوذ من قصيدة لبكر بن حماد: «يمكن أن **نقرأ مقوم** "سحاب" **قراءة انحصارية** إذا صرفنا الوهم إلى أنه بإطباقه على الأرض والأفق، وبحجبه الغزالة؛ يحصر، بتلك السيرة، الحيز (L'espace)، ويحد من انتشاره؛ فيغتدي انحصاريا» (مرتاض، ١٩٨١، ص ١٥٠).

* **المقومات:** يقول في قراءة بعض مقومات اللوحة الشعرية السادسة من النص السيابي "شناشيل ابنة الجلبي" قراءة تشاكلية: «يمكن أن **نقرأ المقومات** الثلاثة... [التاج، الأنوار، الذهب] تحت **قراءة التشاكل الجمالي**؛ حيث إن كلا من التاج، والنور، والذهب يتشاكل من حيث اللمعان الرامز، هنا، لقيمة جمالية. كما يتشاكل من حيث القيمة المادية (التاج، الذهب)، وربما القيمة الروحية أيضا؛ حيث إن التاج هنا ليس مصروفا إلى ما نألف رؤيته على رؤوس الملوك، ولكنه رمز لقيمة

النبوة. وفي أي من التفاريق صرفت هذه المقومات الثلاثة تشاكلت فيما بينها تشاكلا روحيا وجماليا وماديا جميعا» (مرتاض، ١٩٩٢، ص ٨٠-٨١).

* **التشاكل:** ورد التشاكل موضوعا للقراءة مراتٍ في نصوص المدونة. من ذلك قوله في قراءة زوج: (إذا فتقت – لا يستطاع رتوقها)، المأخوذ من قصيدة بكر بن حماد "ذكر الموت"، سيميائيا: «... يمكن **قراءة تشاكل** آخر يقتضيه سياق الزوجين الاثنين؛ حيث إن القصور عن الرتق...، لا يعني، في واقع الأمر، إلا تكريسا لمعنى الفتق نفسه. من أجل ذلك، لا يكون التقابل القائم في هذين الزوجين، أصلا،... حقيقيا، بل هناك مغالطة أسلوبية بادية»(مرتاض، ٢٠٠٠، ص ١٦٣).

* **الحيز:** يقول في تحليل صدر البيت السادس من قصيدة بكر المومإ إليها آنفا: «لقد نلاحظ أن **الحيز**، في هذه النسيجة، على **ظاهر القراءة**، ربط بالزمن. ثم حدد الزمن، فخص بالتعاقب والتداوم؛ لتوكيد حدوث الفعل، واستمراريته...» (مرتاض، ٢٠٠٠، ص ١٧٦).

* **الزمن:** يقول في سياق معالجة إحدى وحدات القصيدة السابقة من الناحية الزمنية: «... **فالزمن**، إذن، في هذه الوحدة، ومن هذا المنظور من **القراءة**، معادل للشقاء»(مرتاض، ٢٠٠٠، ص ١٩٠).

* **الشعر، والأشعار:** وتتضمن نصوص المدونة شواهد عديدة على أن الشعر والأشعار مجالان للقراءة، منها نصان واضحان أوردناهما، معا، غِبَّ حديثنا عن القراءة من جنس الشرح. (مرتاض، ٢٠٠٠، ص ٥٩).

* **الديوان:** والشاهد، هاهنا، قول مرتاض: «لقد رصدنا، من خلال **قراءاتنا** المتكررة التي ربما جاوزت عشر مرات **ديوان** "الخروج من دوائر الساعة السليمانية" – جملة من الخصائص الفنية المميزة» (مرتاض، ١٩٨٦، ص ١٠٨).

* **المجموعة الشعرية:** يقول في التدليل على كون قدماء العرب آمنوا بأن النص منفتح معطاء: «العرب من الأمم التي عملت بفتح النص وعطائيته، بحيث نلفيهم يُولَعون إيلاعا شديدا ببعض النصوص؛ كما حدث مثلا لشعر المتنبي الذي وصلنا من التراث أكثر من ثلاثين قراءة [عنه]... ومثل ذلك يقال في **حماسة أبي تمام؛** حيث توالت **قراءات هذه المجموعة الشعرية**، حتى بلغت أكثر من **عشرين قراءة؛** لعل من أشهرها **قراءتي التبريزي والمرزوقي**...» (مرتاض، ١٩٩٢، ص ١٤٨).

* **القصيدة:** يقول عن محتوى كتابه "بنية الخطاب الشعري": «إننا لم نزد في عملنا هذا على أن سجلنا ما عن لنا في ستة مستويات من **القراءة قمنا بها لهذه القصيدة** المعاصرة» (مرتاض، ١٩٨٦، ص ٣٢).

* **القصـــائد:** يقـول فـي آخـر مقالتـه "تقاليـد القـراءة وأصـولها فـي الأدب العربـي": «سـيلاحظ القـارئ الفـروق الشاسـعة بـين **قـراءات** المسـدي وصـمود والغـذامي **لقصـائد** ثـلاث لأبـي القاسـم الشـابي، وبـين قـراءات الأقـدمين والمحـدثين التقليـديين؛ وهـي القـراءة التـي كنـا عرضـنا لهـا فـي بعـض هـذه المقالـة، إلـى درجـة تجعـل الموازنـة بـين **قـراءات** أولاء **وأولئك** أمرا غير وارد»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ٦٣).

* **المعلقــة:** إن النصـوص الدالـة علـى أن القـراءة تتخـذ، أحيانـا، المعلقـة مضـطَرَبا لهـا، تضـطرب فيـه مـن العـزازة بمكـان. ومنهـا قـول مرتـاض سـائلا عـن إمكـان قـراءة المعلقـة المرقسـية فـي ضـوء المقصـدية السياسـية: «... هـل يمكـن **قـراءة معلقــة** امـرئ القـيس في إطار المقصدية السياسية أو الإيديولوجية؟» (مرتاض، ٢٠٠٠، ص ٢٧٠).

* **البيــت، والأبيــات:** وقـد وردا، معـا، كونهمـا ميـدانين للقـراءة فـي قولـه: «نحـن نعتقـد أن ابـن جنـي، وأبـا علـي الفارسـي، وابـن سـيده قـد يكونـون أقـدر النحـاة العـرب علـى **قـراءة الأبيـات** المشكلة الإعـراب، والتوغـل فـي تخريجاتهـا الإعرابيـة إلـى حـدود المبالغـة والتعسـف. وقـد رأينـا ذلـك فـي **قـراءة** ابـن سـيده **لبيـت** المتنبـي الـذي ذكرنـاه آنفـا...» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٥٥-٥٦).

* **الوحـــدة (الشـــعرية):** يقـول فـي تحليـل وحـدات شـعرية، مقتبسـة مـن القصـيدة المقالحيـة "أشـجان يمنيـة"، مركـزا علـى الجانـب الحيـزي: «... بيـد أن هـذا الطريـق المتضـمَّن فـي: (ثـم يهـاجر)، لا يلبـث أن يغتـدي صـريح الـذكر فـي الوحـدات التاليـة لـه... وإذن، فبعـد الحيـز الشـاحب الـذي لا نتلمسـه إلا عـن طريـق **القــراءة** المتأولـة **لوحـدة** (ثـم يهـاجر)، يغـدو هـذا الحيـز صـريح الـذكر، واضـح المعـالم، بـل فـاغر الفـم، مفتَّح السمع؛ وهو الطريق...» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٢١).

* **اللوحــة الشــعرية:** ولهـذا الموضـوع القرائـي، وكـذا الـذي سـيليه مباشـرة، شـواهد عـدة فـي المدونـة. منهـا قـول مرتـاض: «يمكـن أن **نقـرأ اللوحــة الشــعرية** الأولـى، مـن هـذا الـنص، **قــراءة** بـإجراء المُمَاثِـل؛ فـنلاحظ أنـه يتـألف مـن لوحـة مماثليـة معنويـة...» (مرتاض، ٢٠٠١، ص ١٥٠).

* **اللوحــات (الشــعرية):** يقـول فـي مفتـتح تحليـل الوحـدة الشـعرية الثامنـة، مـن نـص السـياب المتقـدم، بلاغيـا: «يـركض الكـلام فـي هـذه اللوحـة الشـعرية بجـذاميرها فـي سـياق الإنشـاء. وذلـك علـى نقـيض معظـم **لوحـات** هـذا الـنص التـي سـبقت **قراءتهـا**، أو ستلي...» (مرتاض، ٢٠٠١، ص ٩١).

المصـــراع: يقـول فـي معـرض مقاربتـه، تشـاكليا، البيـت السـابع عشـر[١] مـن لاميـة الأمير عبد القادر الجزائري؛ التي أولها:

(لنا في كل مكرمة مجال * ومن فوق السماك لنا رجال!):

«يمكـن **قـــراءة المصـــراع الأول قـــراءة** تشـاكلية بحكـم أن "اللسـن" يـتلاءم مـع العلـوم، والعلـوم تـتلاءم مـع اسـتعمال المنطـق والحجـاج... علـى حـين أن **المصـــراع الثـاني** هـو أيضـا يمكـن **قراءتـه** تشـاكليا؛ علـى أسـاس أن البـيض... تـتلاءم مـع النـزال، وهـو منازلـة الأعـداء فـي سـاحات الهيجـاء. ويـنهض معنـى التشـاكل فـي المصـراع الثـاني علـى القـوة والشـجاعة والإبـاء؛ علـى حـين أن التشـاكل فـي المصـراع الأول يـنهض علـى فصـاحة اللسـان، وذكـاء الجنـان، والاحتكـام إلـى الحِجـى...» (مرتـاض، ٢٠٠٣، ص ٥٣١).

اللغـــة الشـــعرية: يقـول: «إذا كـان بعـض ذلـك[٢] قـد يعـود إلـى تطـور المعرفـة، وتعمـق الرؤيـة وتقدمها فـي كيفيـة **القـراءة للغـة الشـعرية** تحـت جملـة مـن الزوايـا؛ فـإن ذلـك مـا كـان لـه لينفـي... حتميـة تفـرد كـل نـص بمـنهج قـراءة خـاص بـه مـع مـا قـد يشترك فيه معه في هذه الخاصية أو تلك...» (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٨٥).

* **المقامـــة:** وتكـاد نصـوص هـذا الموضـوع النثـري تنحصـر فـي كتابـه عـن فـن المقامـات فـي أدب العـرب. ومنهـا قولـه عـن **المقامـــة الهمذانيـــة:** «نحـن حـين ذهبنـا إلـى عـدم تعليميتهـا جملـة، كمـا ذهـب شـوقي ضـيف، لأننـا وقفنـا زمنـا طـويلا علـى دراستها **وقراءتها**»(مرتاض، ١٩٨٠، ص ١٨٠).

* **المقامـــات:** يقـول: «... وقـد أكببنـا علـى **قـــراءة مقامـــات** الحريـري لنسـتخرج منهـا العناصـر الهزليـة الخارجـة عـن دائـرة الاحتيـال البحـت...» (مرتـاض، ١٩٨٠، ص ٣٠٧).

* **الروايـــة:** يقـول عـن روايـة الطـاهر بـن جلـون الشـهيرة: «كتـب الطـاهر بـن جلـون هـذه الروايـة باللغـة الفرنسـية، كمـا هـو معـروف لـدى المختصـين فـي **قـــراءة الروايـــة**، بعنـوان "الليلـة المقدسـة"، وترجمـت ترجمـة صـحيحة إلـى عنـوان "ليلـة القـدر". وقـد ترجمهـا إلـى العربية محمد الشرقي» (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٤، هامش ٢).

---

(١)- نص البيت هو: (من الوافر التام)

لهـم لسـن العلـوم لهـا احتجـاج * وبـيض مـا يثلمهـا النـزال

الضمير في (لهم) يعود على الأجداد الجزائريين الباسلين.

* **القصــة:** ويشــهد علــى كــون القصــة موضــوعا للقــراءة قــول مرتــاض شــارحا المســتوى اللغـوي (أو تفكيـك اللغـة) مـن "الإجـراء المسـتوياتي"، الـذي دأب علـى الأخـذ بـه فـي مقاربــة النصــوص الأدبيــة علــى اختلافهــا: «هنــا نســتعمل التفكيــك فــي معنــى ينصــرف إلــى حــل مفــردات اللغــة، ونثــر ألفاظهــا؛ إمــا بنــاء علــى معانيهــا المتقاربــة (وهــذا إجــراء كـان جـاءه سـطروس، وتابعـه بـارط فـي **قـراءة سـارادين**•، ولكـن بصـورة غيـر مباشـرة؛ أي إن الثــاني لــم يســتنتج كــالأول)، وإمــا بنــاء علــى اعتبــارات أخــرى»(مرتــاض، ١٩٩٦، ص ٥٩).

* **الســطر (النثــري):** يقـول، بعـد أن أورد شـبكتين سـيميائيتين زمنيتـين، معلقـا عليهمـا: «نلاحـظ أن **القـراءة** الأفقيـة **للسـطر** الأول مـن كـل شـبكة سـيميائية تجسـد تشـاكلا، كمـا أن **القـراءة** العموديـة لبـدايتي **السـطرين** فـي كـل شـبكة تجسـد أيضـا تشـاكلا آخـر. علـى حـين أن **القــراءة** الأفقيــة **للســطر** الثــاني مــن كــل شــبكة تجســد تباينــا، ومثلهــا **القــراءة** العموديـة لآخـر **السـطرين** فـي كـل شـبكة؛ حيـث هـي أيضـا تجسـد تباينـا» (مرتـاض، ١٩٩٥، ص ١٤).

٢- الموضوع غير الأدبي

وهو قليل جدا، ويَمْثُل في الفكر، والذات، والخاطر، والجدول:

* **الفكــر:** يقـول عـن موقـف المصـريين مـن عمـل طـه حسـين فـي كتابـه عـن الشـعر الجـاهلي، مشـبها إيـاه بصـنيع التفكيكيـين الغـربيين إزاء فكـرهم: «بـدا لنـا، بعـد سـكون تلـك العاصـفة الفكريـة، أن النـاس فـي مصـر كـانوا يريـدون الإسـاءة إلـى كتابـة الشـيخ ومنهجـه فـي الشـك، الـذي أراد أن يرسـخه فـي تحليـل التـراث العربـي ومدارسـته. وهـو مسـعى مبكـر فـي تـاريخ الكتابـة النقديـة يشـبه، مـع وجـود الفـارق الكبيـر، إلـى حـد مـا إذن، مقاربــة التفكيــك التــي يمارســها بعــض المفكــرين الغــربيين المعاصــرين فــي **قــراءاتهم للفكــر** الأوربــي؛ فهـم إنمـا يحـاولون التفكيـك أو التهـديم والتشـكيك لا للـرفض السـلبي المطلـق، ولكـن لمحاولـة بنـاء فكـر جديـد متـين قـائم علـى أنقـاض التـراث، فـي جانبيه الرث والمتوهج المشرق»(مرتاض، ١٩٩٥، ص ١٤).

• هكذا كتبها مرتاض، والصواب أن تكتب هكذا: "سارّازين" (Sarrasine). وهي قصة قصيرة للفرنسي بلزاك (H. de Balzac) [١٧٩٩-١٨٥٠م]، تتكلم عن امرأة إيطالية يتضح، فيما بعد، أنها رجل... وقد قدم رولان بـارط (١٩١٥-١٩٨٠م) قـراءة تحليليـة لهـذه الأقصوصـة فـي كتابـه (S/Z)، الصـادر عـن سـوي (Seuil)، بباريس، عام ١٩٧٠، ضمن سلسلة "نقط" (Points)، فـي ثمـان وسبعين ومائتي (٢٧٨) صفحة من القطع الصغير.

* **الـذات، والخـاطر**: ومـن النصـوص القليلـة فـي هـذا الشـأن قولـه عـن القـراءة مـن جـنس الكتابـة الإبداعيـة: «إن **القـراءة** إنطـاق **الـذات** بمـا هـو مغيـب فـي مجاهلهـا وأوازمهـا. ولعـل **قـراءة الـذات**، واسـتخراج مـا فـي باطنهـا وتسـطيره للنـاس أن يكونـا، همـا، حقيقـة هـذا المفهـوم فـي صـدقه وعمقـه. فأيـان يسـتقم لنـا هـذا نقـرأ...» ("مرتـاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٨). وقولـه عـن القـراءة المنصـرفة إلـى معنـى التنـاص: «... والقـراءة مـن بعـد ذلـك، أو قبـل ذلـك، أو أثنـاء ذلـك: تنـاص يقـع مـع نـص آخـر كـان، أصـلا، **قـراءة لخـاطر**، وترجمانـا لقريحـة: لخـاطر مغـزار، وقريحـة مـدرار»("مرتـاض، ١٩٩٥، ص ٢٠٨).

* **الجـدول**: ومـن النصـوص الشـاهدة علـى كـون الجـدول موضـوعا لقـراءة مرتـاض قولـه معلقـا علـى جـدول خطـه مزبـره، وهـو يعـالج نصـا نثريـا أبـي حيانيـا مـن الوجهـة الصـوتية: «... ولكننـا إن **قرأنـا** هـذا **الجـدول** عموديـا، وذلـك بـأن نشـطر بـين عنصـري كـل جملـة أو وحـدة، بخـط عمـودي شـاطر- علـى النحـو التـالي: (...) بحيـث **نقـرأ الجـدول** كمـا لـو كـان شـيئا مؤلفـا مـن عنصـرين غيـر متحـدين، فنجشـم أنفسـنا **قراءتـه** مـرتين اثنتـين: ... فإنـه ينشـأ عـن **قراءتنـا** هـذه صـوت متجـانس متحـد الإيقـاع فـي الحالين»(مرتاض، ١٩٨٣، ص ١٢٩).

نسـتخلص، ممـا تقـدم، أن النشـاط القرائـي لـدى مرتـاض يشـمل مختلـف أشـكال الكتابـة وألوانهـا. فقـراءة الرجـل تنصـرف إلـى الـنص المقـدس، والـنص الشـعري، والـنص النثري مـن وجهـة أولـى. وإلـى مـا هـو ملمـوس، ومـا هـو مجـرد مـن وجهـة ثانيـة. وإلـى مـا هـو أدبـي، ومـا هـو غيـر أدبـي مـن وجهـة ثالثـة. كمـا أنهـا تتعـرض إلـى الـنص؛ كـلا أو بعضـا، بـل إنهـا تمتـد، أحيانـا، إلـى أبعـد مـن ذلـك، فتتخـذ لهـا موضـوعا الكتابـة والأدب ومجموعا من النصوص وغير ذلك.

وتسـتفاد مـن نصـوص القـراءة أمـور أخـرى تـتمحض لحقيقـة القـراءة، وضـوابط جودتها، ونحوها. من ذلك ما يأتي:

(أ) إن القـراءة، بوصـفها مفهومـا، إشـكالية لسـانياتية سـيميائية نقديـة جميعـا (مرتاض،٢٠٠١، ص ٨).

(ب) إن القـراءة حريـة وتحـرر: "فـإن لـم تكنهمـا، فـلا كانـت!" كمـا يقـول مرتـاض (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٥).

(ج) إن القراءة رمرمة وحوم (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٦).

(د) إن القراءة رصد وغوص (مرتاض، ١٩٩٥، ص ٢١٦).

(هـ) إن القراءة انتخاب واختيار، لا التهام واحتطاب بليل (مرتاض، ١٩٩٤، ص ٢٩).

• • • •

خاتمة:

نستخلص من بحثنا في نصوص الدكتور عبد الملك مرتاض النقدية إلى جملة من الأمور، أبرزها ما سنسجله هنا:

١. يقصد بالقراءة، لغويا، الجمع والضم. ويراد بها في الاصطلاح الأدبي العام معان كثيرة؛ من مثل: التلاوة، وتفكيك رموز الخبر المكتوب، وفهم محتوى النص المقروء، والتأويل، وطريقة الفهم،... إلخ.

٢. يعد مصطلح "القراءة" من المصطلحات المحورية والبارزة في كتابات مرتاض النقدية. وقد ناهز مجموع مرات وروده في المدونة، بمختلف صيغه النحوية والاشتقاقية، الألفين وثلاثمائة.

٣. ورد المصطلح بمعناه المصدري أكثر مما ورد بمعنييه الفعلي والاسمي.

٤. إن توزع المصطلح على كتب مرتاض ومقالاته غير متوازن ولا متساو. إذ يستأثر كتاباه ("شعرية القصيدة"، و"التحليل السيمائي للخطاب الشعري")، ومقالاه ("القراءة، وقراءة القراءة"، و"تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي") بحوالي ٥٨% من مجموع المصطلح المدروس في نصوص المدونة، على حين أن تسعة وعشرين من نصوصها (ما بين كتاب ومقال) تشتمل على نسبة تنيف عن ٤٠% بقليل من مجموع المصطلح... ويعزى هذا اللاتكافؤ في توزيع المصطلح، بالأساس، إلى طبيعة تلك الكتابات ذاتها.

٥. استعمل مرتاض مصطلح "القراءة" بصور متعددة ومختلفة (معرفة، نكرة، مفرد، جمع، مطلق، مقيد...). بيد أننا نلاحظ أن المصطلح ورد، في الغالب، معرفا ومنكرا. الأمر الذي يدل على أن الرجل كان يتعامل مع نصوص وأمور معينة.

٦. استعمل مرتاض كثيرا من مرادفات "القراءة"؛ كالنقد، والمدارسة، والمعالجة، والمقاربة، والابتداع، ... إلخ.

٧. يدل المصطلح في المدونة على عدة معان، لعل أظهرها: التحليل، والكتابة (بشقيها الإبداعي والابتداعي/النقدي)، والتناص، والمنهاج، والتأويل، والشرح، والتعليق، والتفكيك، والتفسير، والنص المقروء. والملاحظ أن من هذه المعاني ما هو مألوف، ومنها ما هو مستحدَث. كما أن منها البسيط الساذج، ومنها المعقد النقدي.

٨. يمتاز موضوع القراءة في كتابات المدونة بالتعدد والتنوع معا. إذ يشمل النص الديني والدنيوي من وجهة أولى، والنص الشعري والنثري من وجهة ثانية، وما هو أدبي وما هو غير أدبي من وجهة ثالثة، وما هو مجرد وما هو ملموس من وجهة رابعة. كما أن هذه القراءة تتخذ، أحيانا، النص، كلا أو بعضا، مجالا لها، وأحيانا أخرى تتخذ لها مُضْطَرَبا مجموعة من النصوص أو الكلام أو الأدب أو نحو ذلك.

٩. تستفاد من نصوص تعريف القراءة مسائل عديدة، منها:

١. القراءة إشكالية معقدة.

٢. القراءة حرية وتحرر.

٣. القراءة انتقاء ... إلخ.

وأخيرا، فقد سعى هذا البحث إلى الوقوف عند مصطلح نقدي بعينه ودراسته، وتعلق الأمر بمصطلح "القراءة" باعتباره نموذجا للمصطلح النقدي في أعمال مرتاض النقدية، وكان لا مناص من تحديد متن للدراسة، يكون معلوما، فوقع حصره في عشرة كتب وثلاثين مقالة كما تمت الإشارة إليها.

فهرس مصادر المتن والمراجع:

I - مصادر المتن المدروس:

أولا: الكتب

(١)- "**الأدب الجزائري القديم**"، دار هومة (الجزائر)، ط ٢٠٠٠.

(٢)- "**أ-ي**"، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)، ط ١٩٩٢.

(٣)- "**بنية الخطاب الشعري**"، دار الحداثة (بيرت)، ط ١ (١٩٨٦).

(٤)- "**الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق**"، دار الحداثة، ط ١٩٨٢.

(٥)- "**النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟**"، د.م.ج، ط ١ (١٩٨٣).

(٦)- "**في نظرية الرواية**"، سلسلة "عالم المعرفة"، (الكويت)، ع ٢٤٠، ١٩٩٨.

(٧)- "**فن المقامات في الأدب العربي**"، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) والدار التونسية للنشر، ط ٢ (١٩٨٨).

(٨)- "**شعرية القصيدة – قصيدة القراءة**"، دار المنتخب العربي (بيروت)، ط ١ (١٩٩٤).

(٩)- "**التحليل السيميائي للخطاب الشعري**"، دار الكتاب العربي (الجزائر)، ط ٢٠٠١.

(١٠)- "**تحليل الخطاب السردي**"، د.م.ج، ط ١٩٩٥.

ثانيا: المقالات

(١١)- "الأدب... والعلوم الإنسانية"، مجلة "أوان"، البحرين، ع ٢، س ١، ٢٠٠٣.

(١٢)- "**الألغازالشعبية الجزائرية-دراسة في الأسلوبية**"، مجلة "التراث الشعبي"، بغداد، ع ٨، س ١٠، ١٩٧٩.

(١٣)- "**الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس**" (ترجمة)، مجلة "علامات في النقد"، جُدَّة، ج ٤، م ١، يونيو ١٩٩٢.
(١٤)- "**إشكالية التأويل في القرآن**"، مجلة "المشكاة"، وجدة، ع ١٩، س ٥، ١٩٩٤.
(١٥)- "**بين السمة والسيمائية**"، علامات في النقد، ج ١٩، م ٥، مارس ١٩٩٦.
(١٦)- "**الدكتور عبد الله الغذامي كما عرفته**"، علامات في النقد، ج ٤٣، م ١١، مارس ٢٠٠٢.
(١٧)- "**هل الحداثة فتنة؟ !**"، مجلة "المنهل"، جدة، ع ٥١٦+٥١٧، مج ٥٦، س ٦٠، ١٩٩٤.
(١٨)- "**الزمان في الأمثال الشعبية الجزائرية**"، التراث الشعبي، ع ١، س ١٣، ١٩٨٢.
(١٩)- "**حوار مع الدكتور عبد الملك مرتاض**"، منشور ضمن كتاب "أسئلة النقد..." لجهاد فاضل، الدار العربية للكتاب، د.ت.
(٢٠)- "**اللغة العربية من خلال نظرة عصرية**"، مجلة "نزوى"، سلطنة عُمان، ع ٩، يناير ١٩٩٧.
(٢١)- "**مدخل إلى قراءة البنوية**"، علامات في النقد، ج ٢٩، م ٨، شتنبر ١٩٩٨.
(٢٢)- "**ممارسة العشق بالقراءة**"، نزوى، ع ٨، أكتوبر ١٩٩٦.
(٢٣)- "**مناهج البحث في الحكاية الخرافية**"، التراث الشعبي، ع ٨، س ٨، ١٩٧٧.
(٢٤)- "**معالم الأدب العربي الحديث في الجزائر**"، مجلة "الأقلام"، بغداد، ع ١١، س ١٤، آب ١٩٧٩.
(٢٥)- "**المشكلة المنهجية في الأدب الإسلامي**" (حوار)، المشكاة، ع ١٨، س ٥، ربيع ١٩٩٤.
(٢٦)- "**نظرية، نص، أدب: ثلاثة مفاهيم نقدية (بين التراث والحداثة)**"، موجود ضمن كتاب "قراءة جديدة لتراثنا النقدي"، نشر النادي الأدبي الثقافي بجدة (السعودية)، ١٩٩٠.
(٢٧)- "**نظرية التقويض**"، علامات في النقد، ج ٣٤، مج ٩، دجنبر ١٩٩٩.
(٢٨)- "**سلوك الشخصيات في "اللاّز"**"، مجلة "الحياة الثقافية"، تونس، ع ٣٢، ١٩٨٤.
(٢٩)- "**العجائبية في رواية "ليلة القدر"**"، مجلة كلية الآداب بوجدة، ع ٤، ١٩٩٤.
(٣٠)- ""**علامات**": **الظاهرة.. الموقف**"، علامات في النقد، ج ٥٠، م ١٣، دجنبر ٢٠٠٣.
(٣١)- "**فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص**"، علامات في النقد، ج ١، م ١، مايو ١٩٩١.
(٣٢)- "**الصورة الأدبية: الماهية والوظيفة**"، علامات في النقد، ج ٢٢، م ٦، دجنر ١٩٩٦.
(٣٣)- "**صورة المقاومة في شعر الأمير عبد القادر**"، مجلة "جذور"، جدة، ج ١٤، مج ٧، شتنبر ٢٠٠٣.
(٣٤)- "**القراءة، وقراءة القراءة**"، علامات في النقد، ج ١٥، م ٤، مارس ١٩٩٥.
(٣٥)- "**قراءة نقدية في كتاب "اللغة العربية.. إضاءات عصرية" للدكتور حسام الخطيب**"، مجلة "العربي"، الكويت، ع ٤٥٨، يناير ١٩٩٧.
(٣٦)- "**التأويلية بين المقدس والمدنس**"، مجلة "عالم الفكر"، الكويت، ع ١، مج ٢٩، شتنبر ٢٠٠٠.
(٣٧)- "**التحليل السيميائي للخطاب الشعري**"، علامات في النقد، ج ٥، م ٢، شتنبر ١٩٩٢.
(٣٨)- "**تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي**"، نزوى، ع ٤، شتنبر ١٩٩٥.
(٣٩)- "**الثقافة العربية من أين وإلى أين؟**"، مجلة "ثقافات"، البحرين، ع ٣، صيف ٢٠٠٢.

(٤٠)- "**الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث**"، مجلة "الآداب"، بيروت، ع ١٢/١١، س ٢٩، دجنبر ١٩٨١.

II – مراجع الدراسة:

أولا: الكتب:

أ- باللغة العربية:

١. "**المعجم الوسيط**"، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار المعارف (مصر)، ط ٢ (١٩٧٢).

٢. "**محيط المحيط**" لبطرس البستاني، مكتبة لبنان (بيروت)، ط ١٩٨٣.

٣. ابن دريد، "**جمهرة اللغة**"، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت)، ط ١ (١٩٨٧).

٤. ابن عباد، الصاحب، "**المحيط في اللغة**" ، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب (بيروت)، ط ١ (١٩٩٤).

٥. ابن فارس، "**معجم مقاييس اللغة**"، تح: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ط ١٩٩٠

٦. ابن منظور، "**لسان العرب**"، دار صادر (بيروت)، د.ت.

٧. الأزهري، "**تهذيب اللغة**" ، تح: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

٨. الأصفهاني، الراغب، "**معجم مفردات ألفاظ القرآن**" ، تح: نديم مرعشلي، دار الفكر، ط ١٩٧٢.

٩. إلياس، ماري، وحنان قصاب حسن، "**المعجم المسرحي**"، تأليف: ، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١ (١٩٩٧).

١٠. بارط، رولان،"**درس السيميولوجيا**"، تر: عبد السلام بنعبد العالي، تق: عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال (البيضاء)، ط ٢ (١٩٨٦).

١١. تامر، فاضل، "**اللغة الثانية**"، المركز الثقافي العربي (بيروت- البيضاء)، ط ١ (١٩٩٤).

١٢. التهانوي، "**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، تح: علي دحروج، تر: عبد الله الخالدي، تق: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ط ١ (١٩٩٦).

١٣. جبور، عبد النور، "**المعجم الأدبي**" ، دار العلم للملايين، ط ١ (١٩٧٩).

١٤. الجوهري، "**تاج اللغة وصحاح العربية**" ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤ (١٩٩٠).

١٥. الرازي، ابن أبي بكر، "**مختار الصحاح**" ، عنى بترتيبه السيد محمود خاطر، مراجعة نخبة من علماء اللغة العربية، دار نهضة مصر (الفجالة/القاهرة)، د.ت.

١٦. الزمخشري،"**أساس البلاغة**"، دار الفكر (بيروت)، د.ت.

١٧. الشاذلي، عبد السلام محمد، "**حول قضايا التغريب والتجريب في الأدب العربي المعاصر**" ، دار الحداثة، ط ١ (١٩٨٥).

١٨. عبدالباقي، محمد فؤاد، "**المعجم المفهرَس لألفاظ القرآن الكريم**"، تق: منصور فهمي، دار الحديث (القاهرة)، ط ٢ (١٩٨٨).

١٩. علوش، سعيد، "**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**"، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط ١ (١٩٨٥).

٢٠. فاضل، جهاد، "**أسئلة النقد، حوارات مع النقاد**" ، الدار العربية للكتاب (ليبيا – تونس)، د.ت.

٢١. الكفوي، أبو البقاء، "**الكليات**"، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش

٢٢. لانسون ومايبه، "**منهج البحث في اللغة والأدب**"، تر: محمد مندور، دار العلم للملايين، ط٣ (١٩٨٩).

٢٣. مجموعة من الباحثين، "**الأدب القديم أية قراءة؟**" ، مطبعة فكيك (البيضاء)، ط ١ (١٩٩٥).

٢٤. المسدي، عبد السلام، "**النقد والحداثة**" ، دارالطليعة (بيروت)، ط ١ (١٩٨٣).

٢٥. المسدي، عبد السلام، "**قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح**" ، الدار العربية للكتاب (تونس)، ط ١٩٨٤.

٢٦. المصري، محمد، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (١٩٩٣).

٢٧. وغليسي، يوسف، "**الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض**" ، من إصدارات رابطة "إبداع" الثقافية (الجزائر)، ط ١ (٢٠٠٢).

٢٨. وهبه، مجدي، "**معجم مصطلحات الأدب**"، مكتبة لبنان، ط ١٩٧٤.

٢٩. وهبه، مجدي، وكامل المهندس، "**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**"، مكتبة لبنان، ط ١٩٧٩.

ثانيا: المقالات

٣٠. باعشن، لمياء، "**نظريات قراءة النص**"، علامات في النقد، ج ٣٩، م ١٠، ٢٠٠١

٣١. ثامر، فاضل، "**المصطلح النقدي بوصفه تعبيرا عن الوعي المنهجي في الخطاب النقدي العربي الحديث**" ، مجلة "ثقافات"، البحرين، ع٣، صيف ٢٠٠٢.

٣٢. عقاق، قادة، "**هاجس التأصيل النقدي لدى عبد المالك مرتاض**" ، "نزوى"، ع ٣٨، أبريل ٢٠٠٤.

٣٣. علواني، عبد الواحد، "**مغامرة التأويل**" ، مجلة "الفكر العربي"، ع ٧٦، س ١٥، ربيع ١٩٩٤.

ب- باللغة الأجنبية (اللغة الغرنسية):

34. "**Dictionnaire de didactique des langues**", Dirrigé par librairie Hachette, Paris, 1976.
35. "**Le dictionnaire de français**", Marie GATARD, Ed. Hachette, Paris, 1989.
36. "**Le petit ROBERT**", P. ROBERT, Paris, 1986.
37. "**Le ROBERT: Dictionnaire historique de la langue française**", A.Rey, Paris, 1998.
38. "**OXFORD Learner's Pocket Dictionary**", Oxford University Press, 2nd edition, 1991.
39. A.J. Greimas et J. Courtés,"**Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage**", Ed. Hachette, Paris 1979.

40. Alberto MANGUEL, "**Une histoire de la lecture**", Paris, Mars 1998.
41. Jean RICARDOU, "**Problèmes du nouveau roman**", Éditions du Seuil, Paris, 1967,
42. Michel PICARD, "**La lecture comme jeu**", collection "CRITIQUE", Les éditions de Minuit, Paris, 1986

ب- باللغة الأجنبية (اللغة الأنجليزية):

43. " **Historic Dictionary of French**", Marie GATARD, Ed. Hachette, Paris, 1989.
44. "**Dictionary of language teaching**", Directed by R. Galisson and D. Coste, Hachette bookshop, Paris, 1976.
45. "**Le petit ROBERT**", P. ROBERT, Paris, 1986.
46. "**Le ROBERT: Historic Dictionary of French** ", A.Rey, Paris, 1998.
47. "**OXFORD Learner's Pocket Dictionary**", Oxford University Press, 2nd edition, 1991.
48. J. Greimas and J. Courtés, "Semiotics, reasoned dictionary of language theory", Ed. Hachette, Paris 1979.
49. Alberto MANGUEL, "**A history of reading**", Paris, March 1998.
50. Jean RICARDOU, " **Problems of the new novel**", Éditions du Seuil, Paris, 1967.
51. Michel PICARD, "**Reading as a game**", "CRITIQUE" collection, Les éditions de Minuit, Paris, 1986.

The term "reading" in the work of Abdul Malek Mortad

Professor Abdul Rahman Bouali

Professor of Modern Arabic literature & criticism

University of Sharjah, College of Arts, Humanities, and Social Sciences

Email: abouali@sharjah.ac.ae

Abstract:

The term "reading" is a basic term in modern and contemporary criticism, and has received great care by researchers in various fields of knowledge, for its importance and efficiency.The critics treated this term so specially that they placed him at the forefront.

This research aims to reveal this term in the work of an active researcher, Abdul Malik Murtad, who was able through scientific research to make his name one of the active names in Arab criticism. Throughout our research we will pause for a long time on the term "reading" as seen by this researcher and used in his research.

Keywords: The term - Reading - Modern Arab Criticism - Abdul Malik Murtad.